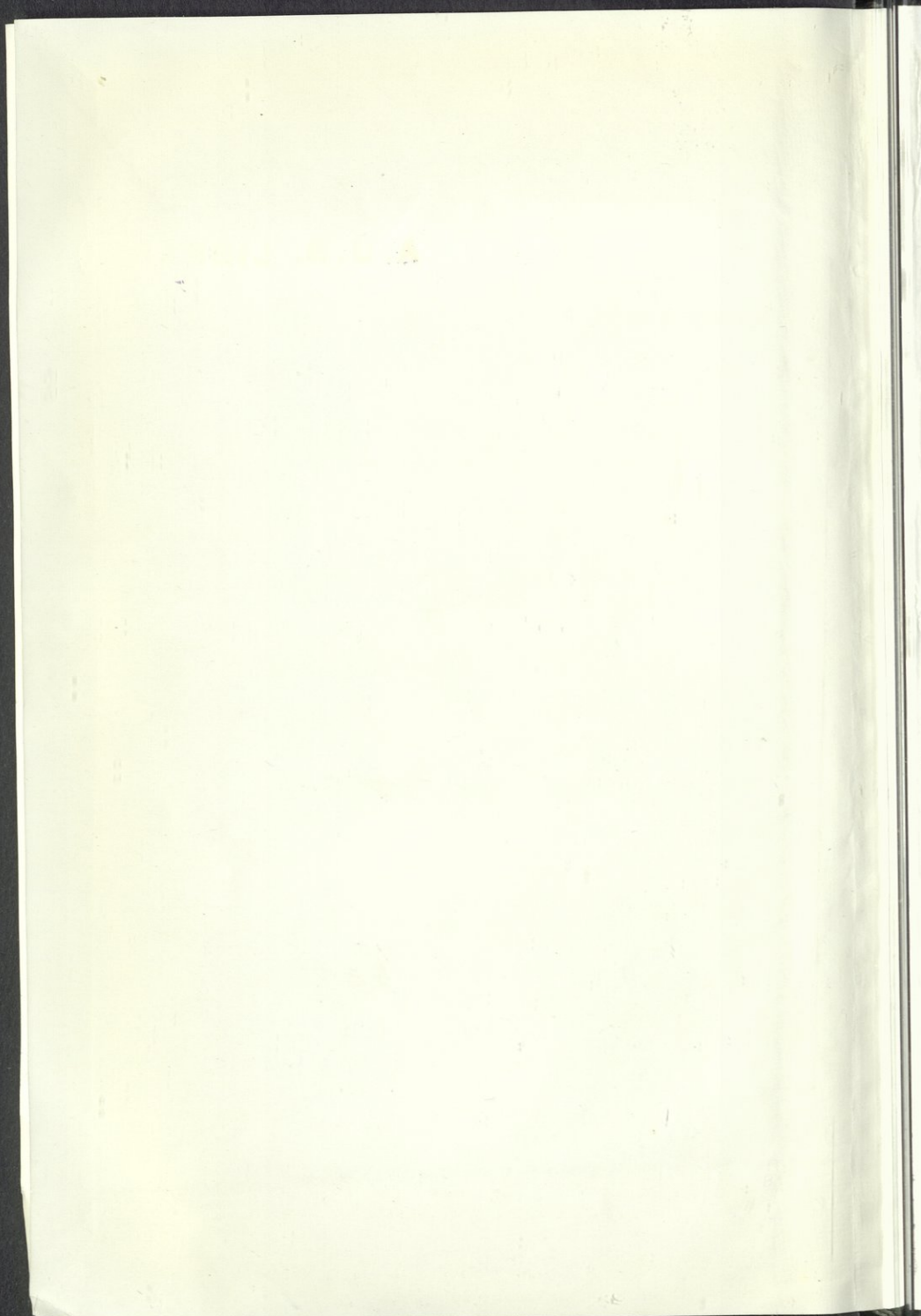
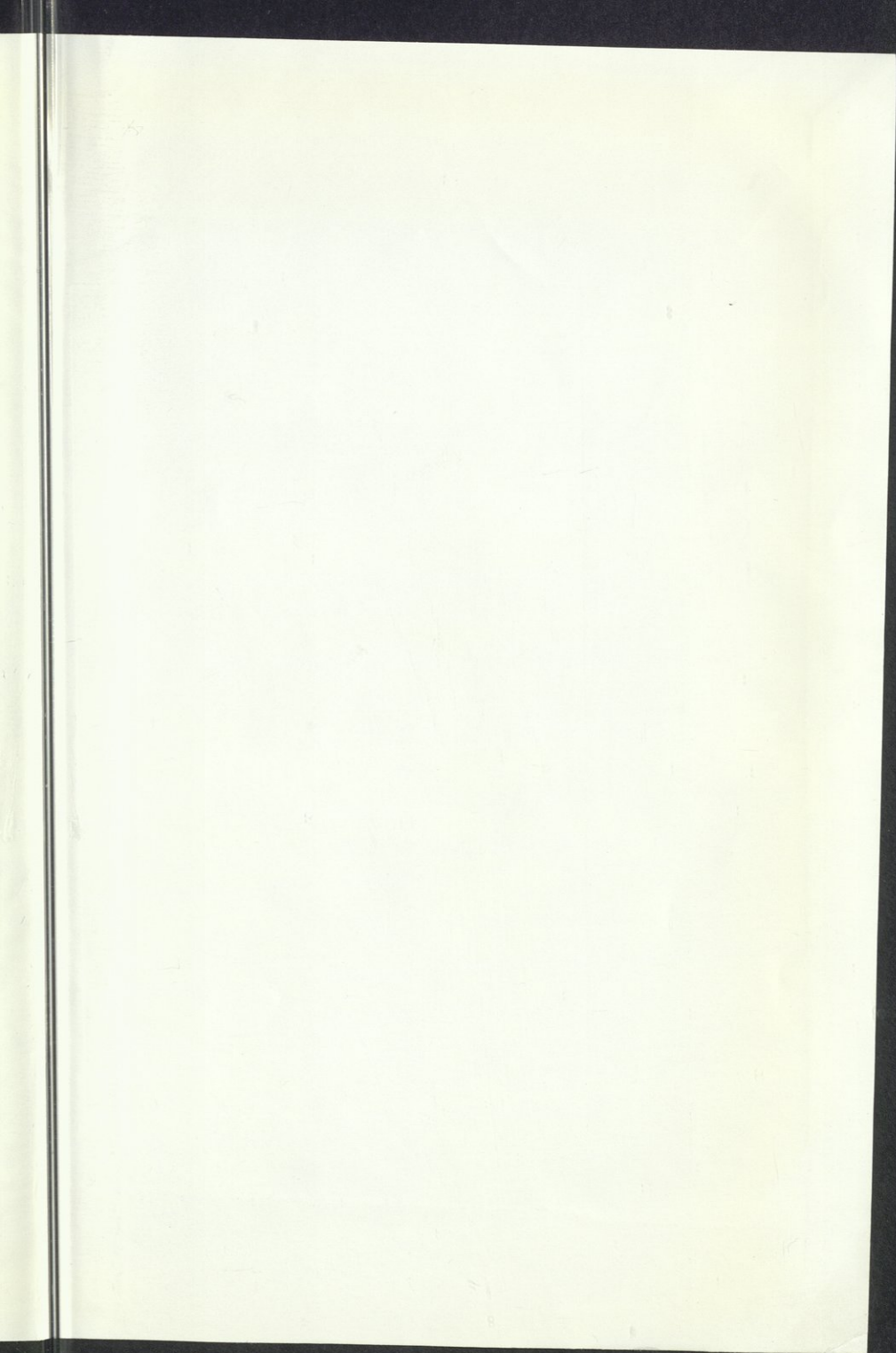
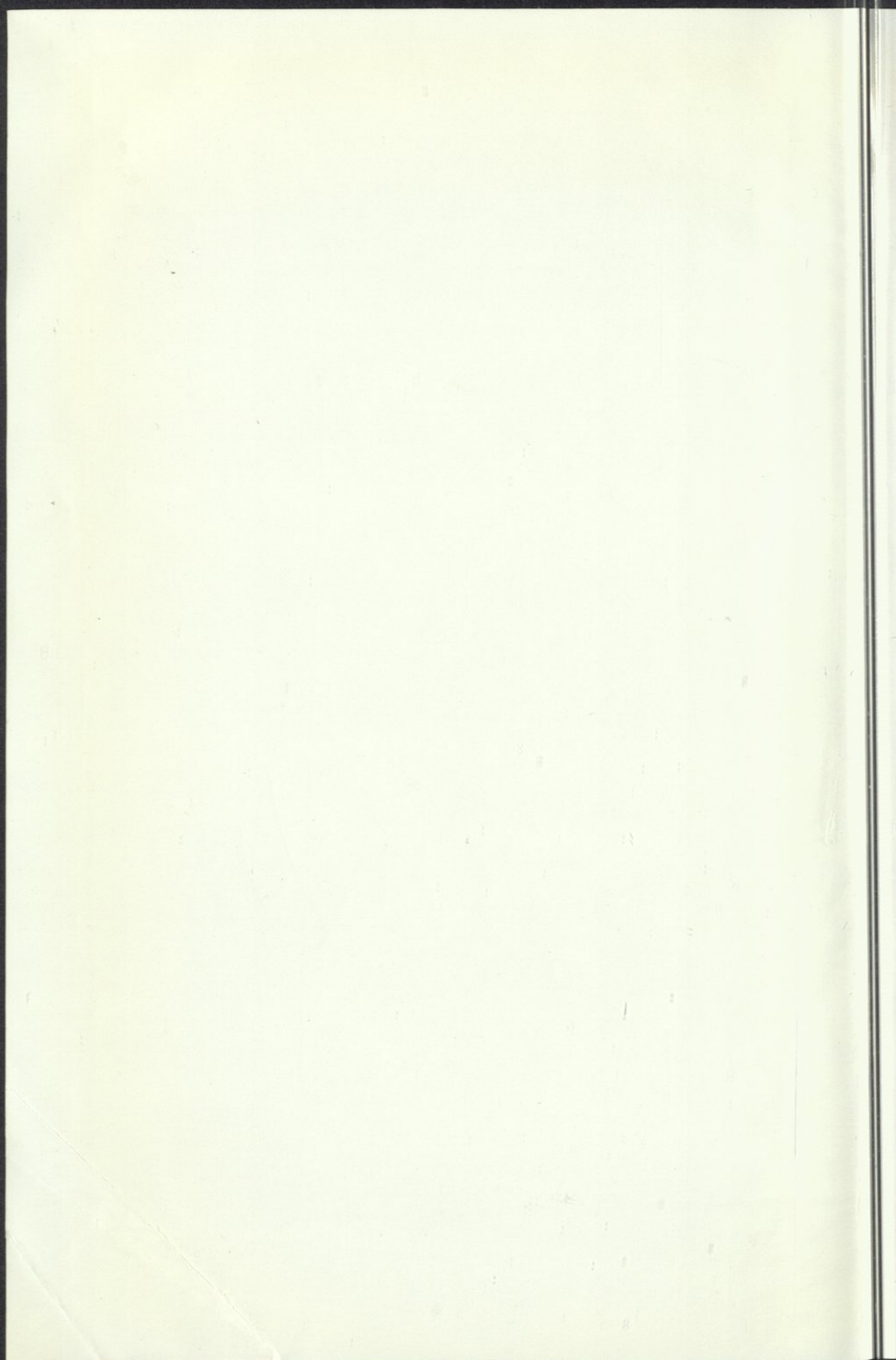


A. U. B. LIBRARY







الحمد لله الذي لا يزاره
سوا ما صحت

منشورات صوت البحرين

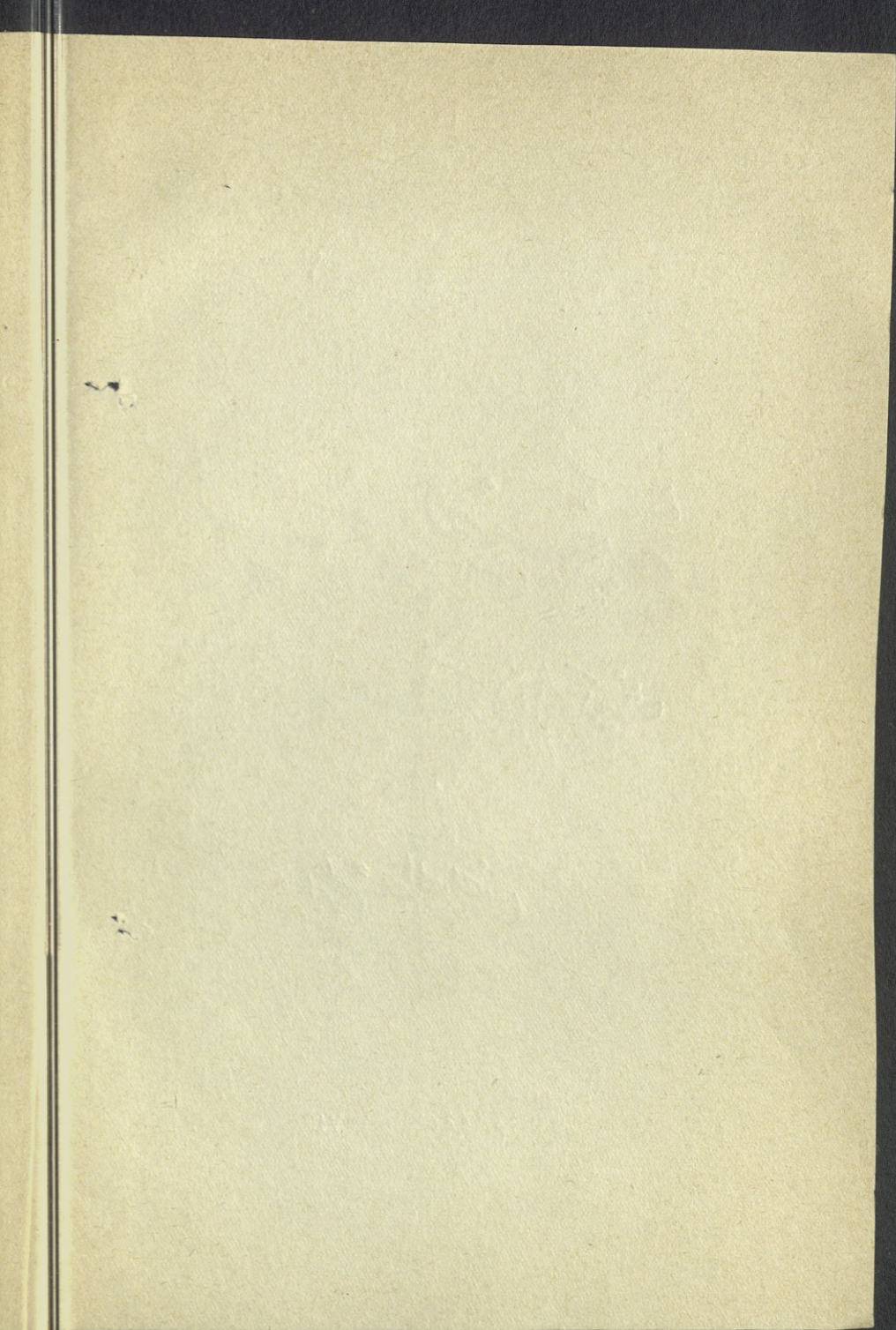
- ٢ -

الشعر وقضية

في الأدب العربي الحديث

بقلم

أبراهيم العريض



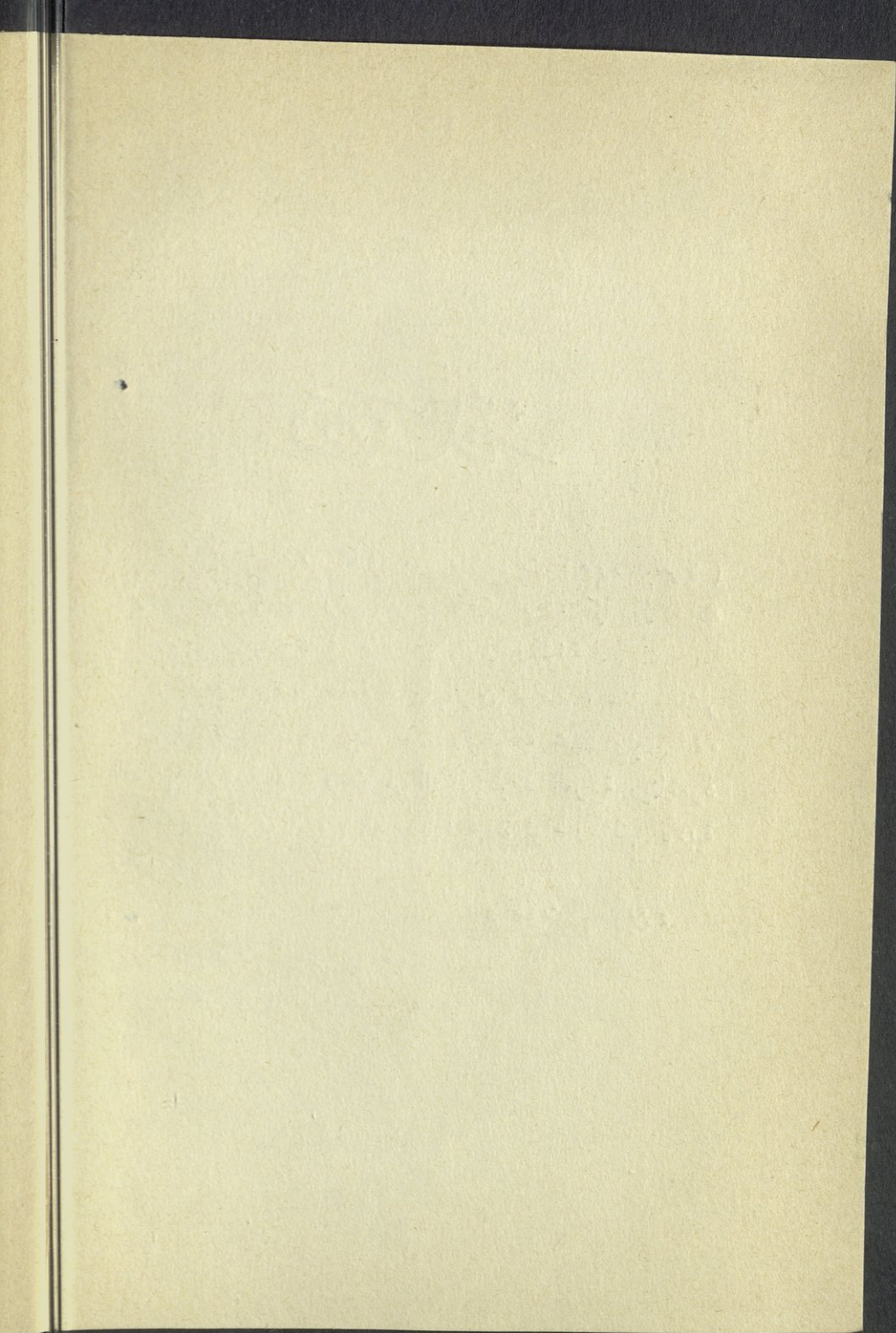
تَصَدَّقْ

هذا هو الكتاب الثاني من منشورات (صوت البحرين)
ونرجو ان يحوز رضى القراء الكرام ، كما نال سابقه
(البحرين وايران) في طبعتيه الأولى والثانية .
وخدمة للعروبة عامة ، والبحرين خاصة ، سنقوم بنشر
بعض الكتب المفيدة بين حين وآخر ، محاولين ابقاء
الصلات الأدبية بيننا وبين قرائنا في البلاد العربية ريثما تعود
(صوت البحرين) الى الصدور ، حاملة لواء رسالتها الأدبية
والقومية .

« صوت البحرين »

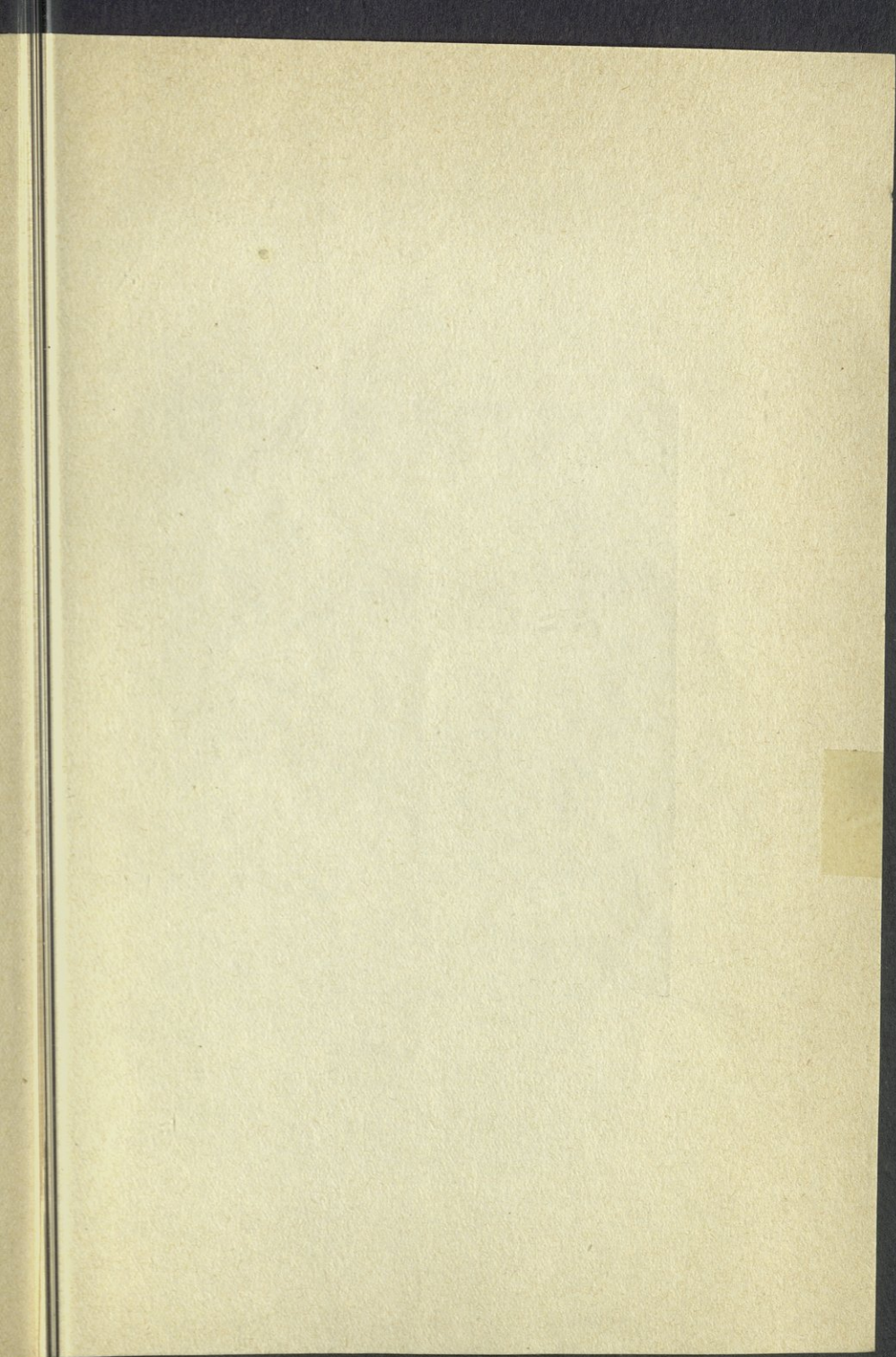
البحرين في ١٥ ذي الحجة ١٣٧٤

الموافق ١٤ آب (اغسطس) ١٩٥٥





صورة المؤلف



مقدمة

بقلم عبد المظيف شراره

أخطر ما ينكشف عنه جو النقد ، في ديار العربية ، أيّاً كان نوع النقد ، هو هذا الخلط بين الوقائع والقيّم :

الناقد العربي لا يُميّز - في إطار الحياة التي يحياها اليوم - الواقع الذي يراه ويلمسه ، من الأشياء والمعاني التي يتمناها أو يرغب فيها ، والمنقود لا يميز موقفه الشخصي ورغباته الذاتية ، من الحقيقة الموضوعية . وهكذا ... يقوم الجدل ، وتشتد المناقشة بين الناقد والمنقود ، دون أن يتقدم أحد الطرفين خطوة نحو الحقيقة . وهكذا ... تصبح الموضوعات المطروحة على بساط البحث متشعبة ، متعددة ، متنوعة ، متغايرة ، ويصبح هكذا أخيراً ، طرحها وأسلوب طرحها ، عاملين من عوامل الفوضى في الذهن ، وفي الدرس ، وفي استنباط النتائج ...

لا بد لتفكيرك هذه الفوضى النقدية في الأدب ، كما في الاجتماع والسياسة ، من ردّها إلى أبسط عناصرها في أول منزلة ، وترتيب هذه العناصر في المنزلة الثانية ، حتى إذا اتضح الموقف الذي ينبغي للفكر العربي الحديث ان يتخذه تجاه الوقائع ، واتّضحت أمامه

القيَمُ التي يؤمن بها عن وعي أو غير وعي ، أمكن السير نحو
المثل الأعلى في الحياتين الشخصية والعامّة ، وأمكن العمل على
تحقيق الاهداف الاجتماعية والثقافية والسياسية ، التي تنشدها
العربية ، في كل قطرٍ من أقطارها .

- ١ -

وأول ما يواجه الفكر العربي من مشاكل ، في محيط المدنية
الراهنه ، قضية العلم والتفكير العلمي ، فقد أصبحت حكاية العلم
هذه من الطول والاسهاب بمنزلة لا يظهر فيها آخرها حتى يعود
أولها ، فكل حزبٍ سياسيٍّ يحسب انه يستند الى العلم في مبادئه ،
وكل فئة تزعم ان العلم يؤيدها فيما تنزع اليه من مذاهب السلوك
والرأي ، وكل نافذ ادبي او سياسي يعتقد ان نظريته علمية ، وبذلك
أسمى العلم كلمةً كغيرها من الكلمات المبهمة ، التي يستعملها الناس
كيفما اتفق ، بمناسبة ، وغير مناسبة ، في محلها وفي غير محلها ،
وأمنت تدل على كل شيء ، ثم لا تدل بعد ذلك على شيء ! ..
وهناك ما هو أمرٌ وأدهى : هناك حكاية « التفكير العلمي » ،
فأنت لا تجد كبير عناء لتلاحظ ان اكثر المتعلمين في اقطار العرب ،
كما في غيرها من اقطار هذا الكوكب ، يتجادلون ويتعارضون ،
وكل فريق يحسب ان تفكيره ، هو العلمي ، وان تفكير معارضة
خرافي أو ما يشبه الخرافي !

والحقيقة هي ان الحادث العلمي مستقلٌ عن الانسان وإرادته
وأفعاله ، فالعلم من حيث هو قانون نافذ ، كائنٌ حيادي ، ثابت ،

لا فرق لديه بين اعترافنا به وانكارنا له، ولا فرق عنده بين جهلنا
إياه ومعرفتنا به .

وقد أوضح برتراند راسل هذا المعنى بكثير من التوفيق حين
قرر أن « جوهر الادراك العلمي إنما هو أن نرفض اعتبار رغباتنا
واذواقنا ومصالحنا ، مفتاحاً لفهم العالم » .

هذا صحيح لا يرقى اليه شك . فإذا أخذته مقياساً تقيس به
العقائد والآراء والنظريات الاجتماعية ، وقعت على « ادراكات »
عجيبة غريبة ، تخالف المنهج الصحيح للتفكير العلمي ، لأن هذه
الادراكات منبثقة عن رغبات ومطامع ومصالح في تفهم العالم ،
وتصور حقيقة .

لا يمكن مثلاً أن يكون اليهود « شعب الله المختار » فهذا
قول غير علمي ، لأنه منبث عن مصلحة ، عن رغبة ، عن طمع
في سائر الشعوب التي تعمر الارض ، ولا يمكن أن تكون سوريا
أمة ذات قومية خاصة واهلها جميعاً يتمسكون بعروبيتهم وقوميتهم
العربية ، ولا يمكن كذلك أن تكون علمياً « المانيا فوق
الجميع » ، فالمانيا جزء من اليابسة كغيرها من أجزاء اليابسة الأرضية ،
وليست شيئاً آخر ، في نظر الجغرافية والتاريخ والجيولوجية ومائر
علوم الطبيعة . وهذا هو شأن كثير من الاعتبارات التي يلصق بها
أصحابها صفة العلم ، وهي في الحقيقة « رغبة » أو « مصلحة » .
ذلك بأن العلم - كما قررنا - حيادي ، فلا يصح أن ينجاز في
تقريراته لشعب أو لبلد ، وإذا حسب البعض أنه ينجاز ، يكون
حسابهم هذا ضرباً من الخطأ أو الضلال ، لأن الواقع يفرض

نفسه على كل سلطة متحيزة للخيال ، او للمصلحة . والعلم واقع ،
لا يمكن ان نتجاوزه ، من غير ان نخطئ . لان مجرد تجاوزه
خطأ .

ولكن اذا قال قائل : « بلاد العرب للعرب » لا يعتدي بهذا
القول على الواقع ، ولا يتجاوزه ، ولا يخالف العلم ، مادام في
الامكان اتخاذ هذا القول قياساً تطرد عليه الامثلة ، كأن يقول
آخر : « الهند للهند » و « الصين للصينين » و « فلسطين
لفلسطينيين » الخ ...

وهذا المعنى ينجلي أكثر فأكثر على يد موريس ماترلنك حيث
يقرّر : « إن ما يقوله العلم ، تمليه عليه الطبيعة او العالم ، ولا
يمكن ان يكون العلم صوتاً آخر ، او شيئاً آخر ... »
كل ذلك يفيد ان معطيات العلم أشياء خارجة عن رغبات
الطامعين والأنانيين والمسيطرين بالقوة ، فهي كما عبّر ماترلنك
« إملاءات » إلهية ، لا يد لأحد في تغييرها ، وكل من يغيرها بما
يتخوّل من قدرة زائفة ، وسطوة ظالمة ، يقع حتماً في العذاب ...
وتلك هي سيرة الأفراد والاقوام الذين اعتدوا على حقوق الآخرين
الطبيعية ، والحقيقة العلمية الطبيعية ، واقعية ، ولها حقها الطبيعي
في فرض نفسها ، وهي فائزة نفسها لا محالة ، إن لم يكن عاجلاً
فأجلاً ...

بيد أن هنالك من الحقائق ما هو علمي ، ولكنها ليست من
الوضوح بحيث يدركها كل انسان ، أو يكشفها كل انسان ،
وهذا هو ميدان التجربة . والتجربة أنواع :

هناك التجربة الآلية أو المادية وهي ما نسميه عادة بالتجربة العلمية في الكيمياء والفيزياء وسائر العلوم العملية ، وهناك التجربة الحية ، وتجارب الأدباء والشعراء والفلاسفة مما يدخل في إطار التجارب الحية ، ولا يستطيع أهل الحكم والسياسة ، أن يؤأخذوهم فيما يرون به من تجارب أو فيما يعبرون به عنها . وإذا كان لمفكر أو لناقد أن يتأمل تجاربهم هذه أو ينظر فيها ، فانه لا يملك أن يدركها علمياً إلا من زاوية نفسه ، أي أن نقد التجربة الحية لا يكون ولا يمكن أن يكون إلا ذاتياً ... وذاتية هذه تنفي كل ضغط ، وتبعد كل تحكم خارجي ، في تقييم التجربة ، والحكم على صحتها ، وسلامتها ، وفائدتها .

- ٢ -

... لكن نقل التجربة الحية الى الخارج ، أو التعبير عنها ، يصطدم دوماً بثلاث عقبات ضخام : الحرية ، حرية النفس ، والبيان ، والصدق . فكثيراً ما تكون النفس غير حرة في تعبيراتها ، كأن تكون خاضعة لاجواء اجتماعية وسياسية تنافي الحرية وتضغط على الفكر ، أو تكون دون مستوى التجربة التي تحاول أن تعبر عنها في القوة والاتساع ، أو تراعي عبوديات خاصة لا يد لها فيها .

هذه الحرية النفسية أساس لكل انتاج فكري أو فني ، فاذا حجبت عن النفس ، أو حجبتها المجتمع عن أفرادها ، يصبح من العبث أن تنتظر نشوء فلسفة رفيعة ، أو أدب عالٍ ، أو فن

بديع في ذلك المجتمع ، كما يصبح من العبث أن تسمو السياسة ،
أو يتقدم العلم ، أو تصلح الاخلاق . وشعراء العالم العظام
وفلاسفته وفنانونه امتازوا اكثر ما امتازوا جميعاً ، بهذه الحرية
النفسية والفكرية التي حملتهم الى أسنى الآفاق وأزكاها وأغناها
وأغناها وأردّها بالعافية على المجموع .

أما العقبة الثانية ، وهي البيان ، فانها شاملة لا تقتصر على
شعب دون شعب ، أو أمة دون أمة ، ولطالما تحدث الأدباء في
مختلف بلاد الله الواسعة ، عن عجز اللغة وقصورها ، والانسان ،
اي انسان لا يملك بيان ما يحتاجه من احاسيس في كثير من
المواقف والحالات ، وكثيراً ما يحسب أنه يقول ما يجد ، بينما
هو في الحقيقة لم يقل شيئاً .

هنا ، عند هذه العقبة ، عقبة البيان ، يصبح من واجب
الناقد - وفي النقد السياسي على الأخص - ان يتتبع المنقود في
مختلف آثاره ، ليرى الى طرائقه في التعبير ، وأساليبه في التصرف
بالكلام من جهة ، وليدرك من جهة ثانية ، مفاهيمه الشخصية
والعامة ، لمعاني الحياة .

ان كلامنا ، كائناً من كان ، يدرك من الكلمة ، اي كلمة ،
اشياء قد تختلف اختلافاً تاماً عما هي في ذهن قائلها او كاتبها .
وقد ألح برغسن على هذا الجانب من حياة الفكر الانساني إلحاحاً
لم يدع معه زيادة لمستزيد ، كما ألح من قبل حكماء الصين والهند
على وجوب العناية باللفظة ، والتأكد من معناها ، والاستيقان
من موضعها ، والاطمئنان الى صحة المضمون الذي تحويه وتؤديه

بنسبة واحدة .

يقول بول بروننون ، وهو من المفكرين الذين خبروا الفلسفة الشرقية خبرة عميقة ووعوها وعياً كيانياً : « الكلمة التي لا يفهمها الناس فهماً تاماً ، إنما هي كلمة ميتة . وما دامت لغة التخاطب أو الكتابة غير مفهومة على الوجه الأكمل ، فإنها تظل دون أي فائدة للروح . يجب ، والحالة هذه ، أن نولي الكلمات التي نستعملها في دراسة مهمة أو نقاش جدّي ، أدق الانتباه . »

ذلك هو واجبنا في شأن الكلمة التي تدل على الأشياء المحسوسة ، المموسة ، فكيف يكون الأمر في المعاني المجردة ، ككلمات الحب والحرية والوطنية والجمال والخير والعدل والكرامة وغيرها؟! - لا ريب في أن الظلام الرائئ على الأذهان في شأن هذه الكلمات وامثالها هو الذي يبلبل الناس في أعقد عملية يؤدونها دوماً بشكل عفوي ألا وهي « الفهم » فأنت إذ تلقي كلمة « دين » أو « سياسة » ورحت تتجرى ما فهمه منها السامعون ، بلكة القراء ، تجد عند نهاية المطاف ، أن عدد المفاهيم لهاتين الكلمتين يوازي عدد السامعين والقراء ، إن لم يزد عليه .

الدقة إذن في البيان ، ضرورة لا معدى عن الأخذ بها ، ولا سبيل إلى تجاوزها كلها أراد الإنسان أن ينقل لغيره تجربة من تجاربه الحية . والناقد ملزم بهذه الدقة البيانية أكثر من غيره ، والسبب في ذلك واضح لا يحتاج إلى إيضاح .

وهنا ، أي في عالم البيان ، لا مجال للعلم بمعناه المادّي ، ولا سبيل إلى حشره في قضايا هي من اختصاص الذوق ، والاطلاع

الواسع ، والخبرة العميقة بأحوال النفس ، وطرائق التعبير عنها ،
وفي حدود لغة معينة .

المجال هنا للفكر الخالص الذي لا تشوبه شائبة من طمع أو
مصلحة أو منفعة ، لأنه يقف - أي الفكر - بعد أن يحيط
بالوقائع ، ويتملى من مظاهرها وأسبابها ، ليقفز الى عالم القيم ،
الى مناطق النفس العليا ، الى القمة ، ومنها يصدر أحكامه ، ويعبر
بهذه الاحكام عن أخلاق صاحبه .

ولكن الفكر لا يستطيع ان يحقق هذه الوثبة من الوقائع
الى القيم ، وهو مطمئن ، الا بعد ان يجوب آفاق الحياة الخاصة
التي تدور فيها الحوادث النفسية ، ويقارن « يستنطق » الشهود ،
ويدرس نفسياتهم ، أي يزيح بتعبير آخر العقبة الثالثة التي تحول
دون نقل التجربة الحية الى خارج النفس . وهي تمييز الكذب
من الصدق .

وقضية الصدق في الادب هي هي في الاجتماع كما في السياسة ،
أي على جانب من التعقيد كبير ، فلا يتاح لنا قد حلها ، إلا بعد
دراسات طويلة ، وتحريات دقيقة ، واستيعاب شامل للمفاهيم العامة
والخاصة ، واستقراء للنيات العميقة التي تنطوي عليها سريرة
الأديب او السياسي او العامل الاجتماعي ، وتبين للأهداف التي
يرمي اليها من وراء عمله ، مهما قلّ او ضلّ .

ولا يصح في هذا المقام ، أي في تحرّي الصدق ، إغفال حركة
او كلمة او إشارة ، فان لكل من هذه الأشياء الطفيفة دلالة
خاصة ، ومعنى خاصاً ، فاذا سها الناقد عن شيء منها تعرض حكمه

للخطأ ، ووقع بمجرد سهوه في الزلل .

وإذا أنت تدبرّت سيرة المبشرين والدعاة والساسة والحزبيين وأصحاب الأغراض الشخصية من أبناء المجتمع وبناته ، ولحظت أساليبهم في تناول الآخرين ، تقع دوماً على ظاهرة واحدة ، هي هذه النزعة الى « تأويل » ما لا يرضيهم من الوقائع ، بما يرضيهم من أفكار ، فهم لشدة استغراقهم في مصالحهم ، في منافعهم ، في أهوائهم ، يتيهون غالباً عن الحقائق فيما يعرضون ، وفيهم من يشوّهها عمداً او يصوّرها خلافاً لما يعتقد ، تبريراً لمساكه وإرضاءً لأنانيته .

وتلك هي مأساة الفكر بين الوقائع والقيم .

- ٣ -

تعال الآن واشهد آثار هذه المأساة التي يعانيتها الفكر البشري في صميم الحياة الاجتماعية على تعدّد جوانبها من اقتصاد وسياسة وتربية وتصرفات يومية ، تجدها في ذروة بلائها ، وتجد الناس ، كل الناس ، على تنوع أذواقهم ، واختلاف ميولهم ونزعاتهم ، وتباين درجاتهم في العلم والثقافة ، يؤمنون بالوعي ، ويجبون النزاهة ، ويتطلعون الى العدالة ، ويفرحون بمعنى الكرامة ، ولكنهم ينكرون هذه القيم ، في الأعم الأغلب من البيئات ، على الاشخاص ، ويعتقدون أن لا وجود لها في عالم المحسوس ، وانما اليوم خيال يدور في فلك من الخيال ، ثم يتصرفون بوحى من هذا الاعتقاد ، ويصبح الواقع ، تبعاً لهذه التصرف ، دليلاً

لهم على ما يعتقدون ...

السؤال الذي يرد ، إزاء هذا الواقع الاجتماعي ، هو : « ماذا يستطيع الفكر ، وبالتالي النقد ، ان يفعل ، حيال هذه المأساة التي يعاينها ؟ » . وجوابه ان الفكر بين ثلاث : اما ان يصوّر هذا الواقع ويكتفي بتصويره ، واما ان يأخذ في الوعظ والارشاد ، واما ان يمزج بين هذين معاً ، اي ان يصوّر ويرشد ، في آن واحد .

ولكن التجربة التي مرّ بها العالم بعد الحرب العالمية الأخيرة ، أفقدت الفكر البشري كل مبادرة في صراعه مع وقائع الحياة العملية ، فالمشكلة التي يعاينها إنسان هذا العصر ليست في المبادئ ولا في الغايات ، وإنما هي ، في الدرجة الاولى ، مشكلة وسائل وامكانيات ، اي ان الانسان المعاصر انتهى قسراً عنه ، وخلافاً لما كان ينتظر من العلوم والاكتشافات ، الى دنيا تحكمها الضرورة .

خذ الآن هذه « الضرورة » وهي متعدّدة ، متنوّعة بتنوع مظاهر المدنية وتعدّدها ، وادرسها كمعنى مستقل ، كحقيقة راسخة في كيان كل مجتمع معاصر ، تجد ان لها منطقها الخاص الذي لا يأبه للدين ، ولا يقيم وزناً للأخلاق ، ولا يصغي لما تمليه الشرائع والقوانين ، وتجد أن الدين نفسه والاخلاق والشرائع تقر هذا المنطق وتأخذ به ، فمن القواعد الفقهية والاخلاقية والقضائية المعروفة ، تلك القاعدة الشهيرة « عند الضرورات تباح المحظورات » .

هذا يعني ، حين نواجه العالم الحديث من زاوية شاملة ، ان الضرورات التي تحكمته به ساقته بمنطقها الذي لا يدفع ، الى ضرب

من اتكالية محتومة لا يملك الضمير معها سلطاناً ، ولا يجدي بها
الوعظ قليلاً ...

وليس هذا كل شيء : هناك الخلاف النظري بين الناس ، في
« فهم » الضرورة واعتبارها ، فان ما تجده انت ضرورة يجده
غيرك إسرافاً وتبذيراً ، وما تحسبه حاجةً لامندوحة عن تأمينها
يحسبه غيرك بطراً وغروراً ، وهكذا ... تتناقض المواقف في
النظر لمطالب الحياة وتتصارع دون ان يقضي تناقضها وصراعها
إلى نتيجة إيجابية يصح الاطمئنان إليها والسكوت عليها ،
فالضرورة معنى نسبي ، ولا سبيل فيه إلى الاطلاق ، كما انه ذاتي
لا يمكن أن تتضح موضوعيته الا عند أشخاص يشعرون شعوراً
واحداً ، ويعانون في الحياة تجربة واحدة .

إزاء هذا التناقض والاضطراب حيال المدنية الحديثة
وضرورتها ، يقف الانسان موقف المضطر ، ولا يستطيع أن
يقف غير هذا الموقف ، مهما بلغ من قوة الروح ، وعزة النفس ،
ورباطة الجأش ، اذ لا يتاح له ، بحالٍ من الاحوال ، أن
يستغني بعد عن السيارات والطائرات والأدوات الكهربائية
وسائر وسائل العيش المدني ، ثم لا يتاح له تأمین هذه الضرورات
اليومية والحاجات المدنية ، إلا في أن ينصرف إلى تأمينها ، بكل
ما يقتضيه هذا الانصراف من مؤسسات تكنولوجية ، ومدارس
ومختبرات ، وأعمال ، لا يبقى معها مجال للتأمل الشعري ، ولا
للاستغراق الفاسفي ، ولا للتعبد الديني ...

غير ان الانسان يظل ، مهما شوّمت المدنية كيانه الداخلي ،

توّاقاً الى حياة مثلى ، نزاعاً الى الحرية ، متدمراً من الضرورات
واحكامها ، متبرماً بكل ما يحيد من انطلاقه في آفاق النور والحب
والخير والجمال والكرامة الصحيحة ، فكيف يوفق بين واقعـه
الرازح تحت العبوديات المدنية ، والضرورات المادية في جانب ،
وتطلعاته الروحية في الجانب الآخر ؟

- هذا من شأن الشعر والشاعرية . وقضية الشعر ، في
جوهرها ، هي قضية ذلك التوفيق . وانما ألقى هذا العبء على
عاتق الشعراء ، لأنهم فطروا على « بغض الضرورة » وأوتوا
من المواهب ما يمكنهم من التغلب عليها . فما هو موقف شعراء
العرب المحدثين ؟ وابن هي قضيتهم اليوم ؟
هذا ما يحاول ان يكشفه الاستاذ ابراهيم العريّض في هذا
الكتاب .

- ٤ -

ليست قضية الشعر ، كما رأيت مما انتهى بنا اليه البحث ،
سوى قضية الانسان في المجتمع كفرد يعاني الحياة معاناة خاصة ،
فاذا رام الناقد درسها اضطر الى درس الحياة الاجتماعية جملةً
وتفصيلاً ، وهذا الدرس يقتضي صاحبه الرجوع الى التاريخ ، الى
اللغة ، الى علوم البيان ، الى المعارف النفسية ، الى العقائد والشرائع
والنظم السائدة ، كي يكون البحث علمياً ، وأحسب ان الاستاذ
العريّض قام بهذا الواجب في الفصل الاول ، وأدّاه في حدود
لا يعيبها انها ضيقة ، فهو لم يتعرض للشعر الصيني القديم بشيء من

التفصيل مثلاً ، ولكنه سار في الخط العلمي سيراً صحيحاً ، ووفق
الى بيان الذات واللاذات وما بينهما من علاقة في الاثر الادبي
توفيقاً استطيع ان اقول : انه قيمٌ مفيد .

أمّا في الفصل الثاني وهو « الشعر العربي خلال العصور » فقد
استطاع المؤلف ان يبسط المراحل التي اجتازها الشعر العربي
بسطاً موجزاً ، يعطي صورة موجزة عن تطور الحياة الشعرية عند
العرب .

وهنا ألاحظ ان ضيق المجال أضعف تلك الصورة ، وجعلها
غامضة ، إذ لم يملك المؤلف ان يوضح علاقة الشعر العربي خلال
عصوره بالحركات الفكرية والفلسفية التي كانت تنشأ في كل عصر ،
على نحو ما فعل الدكتور شوقي ضيف في كتابه : « التطور
والتجديد في الشعر الاموي » ، ثم لم يملك ان يحددنا بالتفصيل عن
تأثير الفلسفات الحديثة في الشعر العربي الحديث ، وما كان لفلسفة
الغرب ، لا لشعرائه ، من اصداء في آثارتنا الادبية الاخيرة ، وإن
أشار الى ذلك اشارات واضحة ، عندما تحدث عن شعر المهجر ،
ومدرسة أبولو وغيرها ..

وننتهي الى الفصل الثالث وعنوانه : « قضية الشعر اليوم »
حيث تحدث عن المؤثرات التي توجهه ، والاسماع التي ينظم لها ،
والاحوال التي ينظم فيها ، والقوالب التي تسبك لصوغه ،
والشؤون التي هي موضع اهتمامه ، فكان في ذلك كله « مختصراً
مفيداً » ، وقد بلغ من الاستقصاء والاستقراء ، وتتبع شعراء
العصر المحدثين درجة لم يبلغها غيره من بين نقاد العرب اجمعين .

وهذا يدل على جهد جدير بالشكر والتقدير .
ولم يكتب المؤلف بعرض جهوده واصدار احكامه واطلاقها
دون دليل ، وانما وضع ملحقاً في نهاية كتابه ، ضمنه القصائد التي
استشهد بها ، فكان بهذا العمل اول ناقد يفسح في المجال امام
القارئ ليفكر بنفسه ، ويحكم على احكام المؤلف ، وتلك طريقة
اتمنى ان تذيب وتشييع في دراساتنا النقدية ، لأن المهم هو «النجاح»
لا النقد ، وكل قارئ ناقد ...

واذا كان لي من مأخذ على المؤلف ، فانه لا يتعدى هذه
النقطة ، وهي انه أغفل التفصيل في بيان اثر كل بيئة عربية في
تكوين الشعاريات الحديثة ، اذ لم يتحدث مثلاً عن لبنان الشاعر ،
ولا عن العراق الشاعر ، ولا عن مصر الشاعرة ، ليخلص من
ذلك الى المقارنة عند ما وصل الى « القمم في الشعر العربي الحديث » ،
وهو لو فعل ، لأفضى به البحث حتماً الى تلمس هذه القرابة الشعرية ،
وبالتالي القومية ، بين تونس الشابي ، ولبنان بشارة الحوري ، وعراق
الجواهري والشرقي ، ومصر علي محمود طه ، وفلسطين طوقان ..
الى ما لا نهاية ، في الزمان والفضاء والحياة ..

- ٥ -

والغريب ان «المهم» في هذا الكتاب - وهو محاضرة - ، لا ذكر
له فيه ، اعني هذه العناية البالغة بالشعر وقضيته ، فقد سألتني احد
الطلاب ممن سمعوا هذه المحاضرة بعد أن ألقاها صاحبها في الجامعة
الاميركية ، في بيروت ، متعجباً : « ... وما الفائدة من الشعر

ونقده والعناية به ؟ » ، وهذا السؤال على سذاجته ، يشير الى ضرورة ، كنت احسب من قبل انها ليست ضرورة ، هي كتابة « المقدمات » للمؤلفات ، كما يشير في الوقت نفسه ، الى هوان الفكر على الناس ، في بعض العقول والبيئات .

هنا ، عليّ ان انقل للقراء ما كتبه الكسندريان في آخر بحثه القيم الشائق عن « الشعر والموضوعية » قال :

« اليكم ما يستخلص من آثار أعظم الشعراء وسلوكهم عبّرَ الازمان : الحب هو مركز العالم ، وهو مفتاح نقل الذات الى الخارج ، وفي مستطاعه ، بما لديه من تأثير اخلاقي واسع ، أن يسوق السعادة لأكبر عدد من الناس ، والشاعر العصري هو الذي ينظر من أي جانب ينبغي له ان يتابع نضاله ، لتحرير الانسان نهائياً ... »

أعتقد ان هذي هي فائدة الشعر ، اي تحرير الانسان من الضرورات ، بما يودعه في نفوس الآخرين ، من اتجاهات اخلاقية عالية ، ويثير فيهم من معاني القوة والشجاعة والنزاهة والحكمة ، في تلقي احداث الحياة والرد عليها .

بقي هناك عائق أساسي أمام الشعر ، يمنعه في بلاد العربية من أداء وظيفته هذه ، وهو « جهل المرأة » بالمعنى الروحي العميق ، المؤلم ، المؤسف ، لكلمة جهل .

اذا كان الشعر لا يشمر ، ولا يأتي بالفائدة المرجوة منه إلا عن طريق الحب ، فهذا يعني ان امر فائدته منوطٌ بوعي المرأة ، وقدرتها على الاستجابة العملية لموحياته ، فالحب للمرأة اكثر بما

هو للرجل ، والمرأة هي المسؤولة عن لونه ورائحته ، وهي التي
توقظه وتوجهه ، والشاعر إنما يستجيب ، فيما ينظم ، لهذه الشعلة التي
تذكيها المرأة في قراوة سريره . وقد أوضح طاغور تبعة المرأة
في ذلك ، ايضاحاً رائعاً ، في قوله : « نحن الرجال ، فرسان
تأثمون وراء تلك الحرية ، حيث ينادينا مثلنا الاعلى . والمرأة التي
تعطينا اللواء الذي نحمله ، هي المرأة الحقيقية لنا ، علينا اذن ان
ننزع قناع تلك التي تفتش عن وسائل تمكنها من حبسنا في سلاسل
سحرية ، ولنعذر ، حين تتلبس باقنعة رغائبنا وأوهامنا
الفاتنة ، من ان تبعدنا عن هدفنا الحقيقي . »

هذا يفيد ، في التحليل الاخير ، ان ايلاء الشعر هذه العناية
الفائقة ، إنما هو ضربٌ من الاصلاح الاجتماعي ، لأن للشعر وظيفة
تربوية يؤديها الشعراء عفواً ، في نفوس الرجال والنساء على السواء ،
والشاعر الحقيقي مُربٍّ ومصلح ، رغمًا عنه ، كما يتضح في سيرة
المتنبيّ وشكسبير وطاغور وغيرهم ...

ولن تجد كبير غناء ، في تمحيص هذه الحقائق جميعها ، والتأكد
منها ، فلديك هذا الكتاب ، وما فيه من أشعار .. يكفي ان
تطالعها بامعان لتدرك مدى صوابها ...

عبد اللطيف مشرارة

بيروت ١٢ آب ١٩٥٤

ان الموضوع الذي عهد الي بالتحدث فيه كما يظهر من
العنوان لأول وهلة ذو ثلاث شعب . فلا أرى امكانية
عرضه على بساط البحث ولو بإيجاز مالم أمهد له ببيان
حقيقة الشعر عند الامم والنظر فيما اذا كان اليوم للشعر قضية
تختلف عن سابق قضاياه كما يوحي به العنوان ام انها واحدة
في جميع العصور ثم التخلص بعد هذا ، الذي هو بمثابة تقشير
الى لباب الموضوع وهو الشعر العربي في عصرنا الحديث
بقضيته .

الفصل الأول

حقيقة الشعر عند الأمم

لقد ذهبت امم الارض منذ القديم مذاهب شتى في تعرف الشعر وتعريفه حسب ما تأتى لها منه ؛ وهذا بديهي . فقد كانليونان شعر ، وللهند شعر ، ولايران شعر ، وللصين شعر ، اذ لم يقتصر نظمه ، كما توهم الجاحظ على العرب وحدهم . وانكن هؤلاء جميعاً - وآخرون غيرهم من الذين ما برح لهم .. كالعرب .. تراث من الشعر عتيق - كانوا ولا يزالون يصدرون في آرائهم ونظرياتهم حوله عما يؤثر عندهم من قلائده في اديهم المحفوظ . واذ كانوا بالبداية يختلفون في انواع النماذج والشواهد التي يقتبسون مبادئهم واحكامهم منها ويبنون قواعدهم ونظرياتهم عليها .. بعضاً عن بعض .. راح بالنتيجة يختلف بعضهم حتماً عن بعض في وجوه الموازنة والاختيار والاستحسان والتقدير . ومن هنا في الفنون بوجه عام ، والشعر على وجه الخصوص ، منشأ هذا الاختلاف في التعريف او بالاحرى التنكير الذي لازم محاولات النقاد في كل

تعريف يتخطى الاجيال والقرون .

ولماذا لا يختلف الشعر بين الامم ، وهم قد عاشوا ، ولا يزالون ، في بيئات تختلف الواحدة بطبيعتها عن الاخرى . فلو لم يكن هناك ما يفرق بينهم الا شعاب الارض ومساكنها فوق الجبال او على ضفاف الانهار ووسط الصحارى او عبر البحار ، لكان فيها وحدها ما يكفي في حلهم وترحالهم لتعليل هذا التباين بينهم في مكيفات الاذواق . فكيف وقد تضافرت على تجسيم هذا التباين وتعقيده ظروف الحياة نفسها ، التي صار على كل امة لازماً ان تحياها بما يلائم ويجانس ما يكتنفها من احوال الارض والسماء . ووراء هذا طرق المعيشة التي بات على ابناء كل امة ان يأخذوا بها انفسهم حسب مقتضيات مجتمعهم مهما خشن ، كأخذ العربي بالحياة البدوية راضياً مطمئناً . ووراء هذا كله ايضاً انواع العلاقات الاجتماعية التي عادت تنشأ ، جيلاً بعد جيل بين افرادهم ، ذكوراً واناثاً وشيوخاً وشباناً ، وفئات واحزاباً ، ثم ظلت تتجدد وتتكاثر في المجتمع الواحد ، وفي اكثر من مجتمع بين الرؤوس والأتباع او الملوك والسوقة ، او السادة والعبيد ، فتتعقد هذه المجتمعات تبعاً لذلك كله على كثر الاجيال ومرر العصور .

بين اليونان والهند

كان الادب اليوناني على سبيل المثال ادباً ارستقراطياً خلقتة لتلك الامة - في شباب عبقريتها - رفاهية طبقة تدين باسترقاق ابناء غيرها من الشعوب عاشت في اشراقها النفسي على سفوح

الجمال . فالليونانيون اذا كانوا قد قسموا الشعر الى انواعه الثلاثة من الملاحم والمسرحيات والاغاني ، وهم اول من فعله فسايرهم على التقسيم في الشرق والغرب قوم ، وعجز عن مسايرتهم فيه آخرون ، فذلك لأن الشعر كما فهموه هم في الحضارة اليونانية التي شعارها الجمال المتسق - فجبر بزوغها - قد كان مظهره على تلك الصورة . ولم تنسب الى ارسطو تلك الشروط التي رفضها بالتالي كتاب المسرحية في انكثارة من وحدة الزمن والمكان لا وحدة الموضوع فحسب (١) الا لأن المسرحيات نفسها في عصر ارسطو وقيل عصره ، وان لم يصلنا منها الا التزر اليسير ، كانت على يد اسخيلوس وسوفوكلس (وهو الذي كان فيلسوفنا جده معجب به) ويوريبيدز وارسطوفنس تنهج في الاغلب على ذلك الغرار .

وقد شاركت الهند اليونان وبارتها في نوعين من هذه الانواع: الملاحم والاغاني . فلم تكن لها مسرحيات (لي في تعليل هذه الظاهرة رأي سائدي بعد) . ومع هذا فان مشاركة الأمتين فيهما لم تجعل للملحمة ولا للأغنية عندهما صفات مشتركة . فقد دفعت بالهند نزعتها الصوفية على ضفاف الأنهار الى خلق مجتمعات قوامه طبقات بعضها فوق بعض فلا تعلم طبقة ما حولها ووراءها من الطبقات ولا ينبغي لها . ثم كان أن تحدثت بلسان الجلالة شاعرها المجهول الى هذه الطبقات المنطوية على نفسها يحدد لكل منها حدود الفضيلة ويحقق لكل انسان معنى التجلي في نفسه في

(١) راجع Principles of Literary Criticism للبروفسور :
La Scelles Abercrombie

ألفاظ ملهمة كبرى لا زال الهندو كيون يرتلون آياتها في
هياكلهم على دق النواقيس ورنين الأجراس الى اليوم .
فالمهابهارتا (١) تختلف اذن عن الباذة هومير التي يتحدث فيها
شاعر اليونان عن عبث آلهة الأولمب وما كان يتنازع هذه الآلهة
التي لا تختلف بمجال عن صنائعها من البشر من نوازع وشجون . فبينما
تهدف الملحمة الهندية الى السمو بالانسان تدريجياً الى مصاف
الآلهة و « النرفانا » أي الفناء في الوجود الأكبر . تستهدف
الملحمة اليونانية الهبوط بالآلهة الى مستوى البشر والحياة بحرية
في جسم هذا الانسان . وكل هذه الآلهة من عبث وفضول .
فهذا في الملاحم . وأما في الاغاني فلم تكن نزعة الهند الصوفية
لتترك أبناءها يمفون في التغني بجلال الطبيعة - دون جماها - التي
تحيط بها آفاقهم الى غير التجرد الخالص والمثالية . بخلاف ما كان
عليه الحال عند اليونانيين في نزعتهم الواقعية التي لا تدين بغير الجمال .
وليس عهدنا ببعيد عن طاغور الذي يحضرنى من بعض أغانيه
التعبدية قوله : قالت الزهرة للشمس : « كيف استطيع ان اعبدك » ؟
فقلت : « بسكوتك ونقاوتك » او قوله :

تحدثت الى الطبيعة بالصور فتجيبها روحي بالاغاني
وانكم لواجدون في هذه الاغاني وبالأخص الشعبية منها التي
خلقتها لنا الحضارتان عبر القرون صورة صادقة واضحة للمجتمع
عند كل من الأمتين . وأقل ذلك اقتصار الغزل في الهند على
لسان المرأة تتوجه به الى من تحبه لا بالعكس إذ ان الرجل لا
(١) المهابهارتا راجع ترجمة وديع البستاني.

يتغزل هناك مطلقاً... الا ان يكون بالذات الالهية التي يجعل
جذوتها بين جنبيه ، معتبراً قلبه - لا قلب المرأة - موضع سر
الآلهة وعرش ملكوته الأعلى . فهي ليست سوى راقصة المعبد
لا الرب المعبود فيه . وانما يصدر الغزل هناك بالمعنى المفهوم عندنا
من المرأة الى الرجل لأنها تعتبر هذا القيم عليها حقاً ربها الصغير .
فهذا ما جعل العناء الهندي ناطقاً في صدوره من المرأة صامتاً في
صدوره من الرجل لاختلاف نوازع الجنسية والصوفية بينهما كما
نلمس أثر ذلك في شعر طاغور . (١)

فأين هذا من مجتمع كان يبيع للمرأة - كسافو - ان تتغزل
ببنات جنسها . وللرجل - كآسكندر - ان يشغف ببني جنسه
حُباً لأن حياتهم الاجتماعية كانت تقتضي ذلك وتجيّزه . وقد كان
ذلك في اليونان .

اذن فليس اشتراك أمة في باب من أبواب الشعر - كالملاحم
او الأغاني - يجعل للشعر عندهما صفة مشتركة او يؤدي بهما في
تعريفه الى نهج مقبول يرضاه الجميع . فاذا وجدنا أرسطو يعرف
الشعر لليونانيين بقوله « الفنّ يقلد الطبيعة .. وغاية الفن المسرة » .
فقد ذهبت الهند الى القول بأن « الفنّ تحسين الطبيعة .. لاتقليدها » .
واذا قررت فرنسا على لسان جورج ساندر « ان الفنّ قبال لا
غير .. » . ارتأى ماثيو ارنولد الانكليزي « ان الشعر نقد
الحياة » .

(١) « قربان الاغاني » ترجمة الأب يوحنا قير

مصدر الاحكام النقدية

ان كل هذا يؤكد ما قلناه من ان جهابذة النقد في كل أمة انما يصدرون في احكامهم عما يدركونه في عصرهم من الشعر المأثور . ففي حكم أرسطو مثلاً لا يجوز لنا ان نستخلص انه يعني بـ « الطبيعة » شيئاً ، هو ما يستجليه الهنود في ادغال بلادهم التي تسرح فيها الفيلة ، اذ تلك هي الطبيعة هناك ، لسبب بسيط جداً هو ان حكمه مبني على ما عاينه ، مستخرج مما شاهده في بلاده لا سواها . . . فالليونان غير الهند . ولا هو يعني بـ « تقليد الطبيعة » تقليد مناظرها الثابتة دون تقليد مراحل تطورها في الحلق والتحصين باستمرار . فقد عرفنا اليونانيين يخلقون فيبدعون وعبرة ارسطو تحتل التأويلين .

بينما اخذت الهند - وكذلك ايران - برأيي يبدو لأول وهلة مناقضاً لرأي ارسطو في الفنون . ولكن للهند كما رأينا عذرها . واما ايران فقد كان ولا يزال فنها يقوم على زخرفة الصور ورمزية الاشكال . كما نجد اثره بارزاً ملموساً فيما تحبكه أنامل صباياها من سجاد . فما كان لأيران ان تستكمل في الفتنة اداءها الفني الا بالتليس والابهام . وهذه ظاهرة تسود جميع شعورها الغزلي الذي يكاد يقف منه حافظ شيرازي لجودته وموسيقاه في العالم الشعري قمة وحده . وكأننا يرتل اغانيه كل لسان هناك في دخان يعبق بالسحر من الغموض . وقد يكون لهذا تعليله في أن المجتمع الفارسي لا يتم في لغته التفاهم او التخاطب بين الجنسين الا بضمير خطاب واحد بدون تمييز بين الذكر والانثى بحيث ما يصح من

غزل فيها يصح ايضاً فيه فلا غرابة ان يعتبر من الحسنات الفنية
عندهم الغموض والتلبيس .

وقد كان ايضاً لايران التي جاورتنا في الديار وشاركتنا في
السياسة، ضلع في شعر الملاحم كالفند واليونان . فهي مثلها في طبيعة
الامم التي لها بذلك اعتزاز . ولكن ملحمتها الكبرى جاءت على
لسان شاعرها متأخرة في الزمان . فلم تكن حديثاً عن الآلهة او
الانسان الاول . وانما مسجلاً مجيداً حافلاً باعمال الملوك والاكاسرة
واقبالهم في دنيا عاتمة من الحروب . انما لذلك في دنيا الشعر
دلالته .

وكذلك نظرة جورج ساند فهي نظرة فنية من جانبها صحيحة ،
وان اقتصرت على القلب ولم تجاوزها الى الموضوع . فقد كانت
فرنسا - مثلنا - لا تطاوع شعراءها امكانيات اللغة على الاسترسال
في نظم الملاحم التي يلزمها النفس الطويل . بينما الانكليز ما
هشوا لحكم رائدهم في النقد الأدبي إلا لأن بلادهم التي يقوم عرشها
على الماء وجدت في قوله ما يعتبر عن شعورها العميق ازاء مسرحيات
ابنها البكر شيكسبير . فهذا بذاك .

وهذا لم يعم الخلاف طبعاً ، فهناك اقوال تلو اقوال نستطيع
ان نستدل بها على ما كان يحفز ذوقها في ضوء ادبهم الخاص كلاً على
حدة من حوافز في النقد بين اشتات هذه الامم ، منذ ان قال
ابو فراس قولته الشهيرة « الشعر ديوان العرب » ، اذ تراءى امام
العين مواكب كثيرة لنقطة الفن ما حاول البصر ان يواكب
الفنون ولعل من ذوي الرايات المرفرفة في طبيعتها سانت بوف وتين

من فرنسا وتولستوي من روسيا ولسنج من ألمانيا واوسكار وايلد من انكلترا واخيراً كروشييه من ايطاليا . فمن قائل بين هؤلاء « الاسلوب هو الشخصية » الى آخر يقرر « ما الأدب سوى علاقات ما بين النفوس » ومن ثالث يهتف : غاية الفن السمو بالنفس البشرية وتطهيرها من الادران « الى رابع يصيح « الفن كله عبث » . ولا تني تسمع ، من فترة لأخرى ، فئة تندد بينهم « الشعر التزام .. الشعر التزام » ، فهل القولة الاخيرة وقد اخذ الآن بها اغلب المحدثين هي : « غاية الفن تكون في الفن نفسه » ، لا ادري !

اختلاف الشعر بين العصور

فالشعر اذن يختلف - كما رأينا - بين الامم . وهو لا يختلف من امة الى امة فحسب بل ويختلف كذلك بين العصور . ولا حاجة بنا الى ان نتطلع الى غيرنا من الامم لكي نتتبع اطوار ادبها بغية لمس هذا الفارق في نتاج العصور . وادبنا امامنا شاهد عدل على الاطوار التي مر بها الشعر العربي ، من العصر الجاهلي الذي ظل يتجاوب فيه الصدى لحداة ابل كلبيد وطرفة وعمرو بن كلثوم ، او اصحاب خيل كعنترة وامرئ القيس اثناء انسراحهم في بادية نجد... فالعصر الاموي الذي عاش يغني فيه المغنون ، امثال معبد والغريص ، بشعر ابن ابي ربيعة وكثير وجميل في سمراتهم بالحجاز ، او يتقارع رجال الحزب بالهجاء ، مأخوذين بمناقضات الفرزدق وجريز في ندواتهم بين البصرة والكوفة ... فالعصر

العباسي الطويل الذي استهله ابو نواس بخمرياته وختمه المعري بلزومياته ، وقد بات يعلو في محافله ، بين عهديها صوت من يختصموت من علماء الشام وادباء فارس ، وشعراء العراق حول قصائد البحري وابي تمام او روائع المتنبي الذي (كما قالوا) « جاء ... فملأ الدنيا وشغل الناس » فلا زال صدى خصامهم الماتع يرن في آذاننا الى اليوم ... الى هذا العصر الذي نشاهد في آثاره ، رغم جدتها وطرافتها ما نشاهد من تحفز احياناً ، وتطرف احياناً ، واضطراب احياناً ، أدى اليه غلو في المذاهب وامعان في التقليد وبلبله في الافكار وتقريط في الحقوق عجيب امره . مما يدل دلالة واضحة تكفي ان الشعر لا يختلف عندنا او عند غيرنا ، من عصر الى عصر فحسب بل ويختلف ايضاً في العصر الواحد ، جراء التفاعل المستمر - الذي ترضخ له متاملة امّة ابان تيقظها - بين ماضيها الغابر امس وحاضرها السافر اليوم . ومحارلتها النهوض للاحاق بالقافلة بين شماتة العدو واساءة الصديق والقافلة بالامم مجدّة في السير تكاد عن اعينها تغيب .

فاذا كانت كل هذه الآثار ، قديماً وحديثاً ، يحفل بها الشعر حول عرشه ويمشي بها ظافراً تحت لوائه ولا يعتبرها على انقلاب المقاييس وتعارض القيم احياناً الا منه وفيه واليه ، فكيف نستخرج من مجموعها - وهي لا تقوم الا جملة - للشعر تعريفاً شاملاً يضع للنقاط على الحروف ؟ .. أفلا يجوز ان تكون هناك زاوية للنظر لو نظرنا منها مدققين لرأينا كيف يمكن ان تنخرط كل هذه الجبات التي لا يجمعها بين نتاج الامم حجم او شكل او

لون في عقد انساني واحد يزين جيد العصور .
الحق ان للظاهرة زاويتها الانسانية الخالصة . وهذا ما
استبحر العذر في شرحه الآن .

« انا » و « انت » في كل اثر ادبي

ان الأدب - ادب اية امة - بغض النظر عن قلبه او فبعواه
يفتوض مقدماً « انا » و « انت » ... الذات التي تسوق الحديث
والذات التي يتوجه اليها الحديث .. فهما العنصر الحي الذي
يكتنف الموضوع من طرفيه ويبت فيه الروح الادبية . والادب
على تعدد صوره وتباين مذاهبه انما يحتفل بالعلاقات النفسية التي
تقوم بين هاتين الذاتين ، متخذاً اي موضوع سبباً - لا اكثر
ولا اقل - للجمع بينهما على مسرح واحد . فكل اثر ادبي - شعراً
كان او نثراً - يقوم على الموضوع وهذه الذاتية المزدوجة فيه .
فلا ينم على الموضوع الا في اطار من الذاتية . ولئن كان الموضوع
هو ما نحاول تقريره فان الذاتية فيه هي دافعنا الخاص على التقرير .
اذ هي التي تطبع الاثر بطابعها الخاص ، فتجعل له بالقول الملفوظ
هذا المبني في الصياغة ، وبالاثر الملحوظ ذلك المنحى في التعبير .
على ان القضية ليست بهذه البساطة ، فالذات التي هي « انا »
ليست ذاتاً واحدة ، فهي في حقيقتها شيء ، وهي كما إحاطها شيء
ثان قد لا يمت الى حقيقتها بصلة ثم هي كما اقدر لها الظهور بين
الناس شيء ثالث لا هذا ولا ذاك ، واخيراً هي كما يراها الناس
- كل بعينه - شيء آخر او اشياء قد لا تنبئ عن حقيقتها الاولى

ولا الثانية ولا الثالثة. هذا من جهة الذات التي هي « انا » ذات المتكلم التي تمسك في المضمون بالجل من احد طرفيه .
 واما الذات التي هي « انت » والتي تقابلها في الطرف الثاني فهي في المضمون قد تكون ذاتاً مفردة بوجه اليها حوار خاص ولا يكون عندئذ الحديث الا مهموساً . او تتعدد الى اكثر من ذات ، من ثنتين فصاعداً الى ما لا حصر له . تربط الذات المتكلمة بهم رابطة ود او ولاء او عشرة او زمالة او حوار فيتنوع لذلك اسلوب الخطاب ، في داخل جماعة تختلف سعة وامتداداً من الاسرة الى العشيرة الى القبيلة الى الشعب الى الامة الى الانسانية برويتها ، بحيث يعود ملفوظ كلامها الموجه اليهم صادراً في صوت جهوري تتفتح لسماحه الآذان . وربما عادت ذات الاديب احياناً هي التي يساورها الاديب بحديثه المهموس فيكون ذلك منه في ذاته نجوى نفسية خالصة هو هذا الشعر الصامت الذي تطور اليه الشعر عند الرمزيين ^١ .

ولقد سبق منذ قليل ان استعملت كلمة « المسرح » في معرض البيان عن قيام هذه العلاقات بين الذاتين في قولي : « ان الادب يتخذ اي موضوع سبباً - لا اكثر ولا اقل - للجمع بينهما على مسرح واحد » . واستعمال الكلمة في محلها . فان ذاتي كما اقدر لها الظهور او كما تظهر بين الناس تستطيع ان تنقص لدورها في التمثيل الذي يتاح لها في حدود امكانياتها على الأرض ارواحاً

(١) أنظر التفصيل في كتابنا « الأساليب الشعرية » - مطبوعات دار الأديب ، بيروت .

لا أعداد لها ، حتى لقد تطاول عند بعضهم الروح الاعلى وتنطق
 بلسانه متجلية للبشر وهي مثلهم من طين في جلباب إله يوحى او
 نبي من الانبياء يوحى اليه . فهي اذ تمثل دائبة ادواراً عدة لا تني
 تستحدث لكل دور ما يستلزم الموقف من اساليب البيان . ومن
 هنا عذرنا نحن البشر في الاعتراف لمن يجيد تمثيل دوره من هؤلاء
 بالعبرية . ومن هنا ايضا منشأ اتهامنا ايهم احيانا بالجنون فكأنه
 للعبرية امم ثان .
 فهذا ما يفعله بيننا الشعراء .

تغايير الذات والموضوع واحد

فأما بالنسبة الى العلاقات نفسها فلفل شاهدآ او شاهدين على
 الموضوع وكيف تكمن هذه الذاتية المزدوجة فيه لتنهض به من
 طرفيه يساعدان على جلاء هذا الموقف الذي اعنيه .
 في اثناء مطالعاتي في « الامالي » مرّت بي حكاية لشاعرين
 موضوعها واحد . فقد تعرّضت لكل منهما في شيخوخته بعد غياب
 طويل صاحبه التي كان عهده بها قديما ريانة الشباب مثله تسأله :
 أما أنت فلان ؟ لقد أكل الدهر عليك وشرب ! . والطرافة في
 الجواب ، فتأملوا كيف يرد على السؤال كل من الشاعرين .
 قال احدهما وهو حسّان بن الغدير لصاحبه :
 قالت أمانة يوم بركة واسطى ويا بن الغدير ! لقد جعلت تنكر
 أصبحت - بعد شبابك الغض الذي
 ولت شيبته ، وغصنك أخضر -

شيخاً ، دعامتك العصا ، ومشيعاً

لا تبتغي خيراً ... ولا تستخبر ...

فأجبتها ان مَنْ يُعْتَرِ يَعْتَرِفُ ما تَرَعَيْنِ وَيَنْبُ عَنْهُ الْمَنْظَرُ
ولقد رأيتُ شبيهَ ما عيرتني يسري علي به الزمانُ ويكر
وجعلتُ يفضيني البسيرُ ، وملّني أهلي ، وكنت مكرماً لا أكهر
وشربت في القعب الصغير وقادني نحو الجماعة من بني الأصغر
بينما في مثل موقفه ينشد الثاني وهو حكيم بن عكرمة صاحبه:

تقول بثينة (اذ أنكرت قنوءاً من الشعر الأحمر
برامي) : كبرت وادى الشباب !

فقلت .. بحياء لها .. أقصري !

أما كنت أبصرتني مرةً ليالي نحن بذوي جوهر
ليالي انتم لنا جيرةً ألا تذكرين ؟ بلي فاذا كرى
واذ انا اغيد غصّ الشباب اجرُّ الرداء على المئزر
واذ ليّمتي كجناح الغراب ترجّل بالمسك والعنبر
فغير ذلك ما تعلمين تغيرُ ذا الزمن المنكر
وأنت ... كلؤلؤة المرزبان بماء شبابك .. لم يعصر ..
وقد كان مضارنا واحداً فأني كبرت . ولم تكبري !

ولا اظن انه يختلف اثنان في اي من القطعتين هي الرائعة والاولى
بالتفضيل . لقد أساء الاول الى نفسه والى صاحبه بهذا الاسترسال
في تعداد مصائبه في موقف يقتضي الدماعة وطيب الحديث . ثم
ما كفاه ذلك حتى تبرّم لها وكأنه يقول : « وأنت كبرت ايضاً
وتغيّرت ! » ما دام هو يعتبر تنويعها بسننه تعبيراً . بينما أحسن

الثاني الى نفسه والى صاحبه بهذا التلفت الى ذكريات الشباب وكيف كان زهوها به. وأجاد ما شاء بهذا الحُثام الذي هو المسك فكأنه يقول « وسبحان من حفظ لك الشباب ! » .
 فهل رأيت كيف اختلف الموقف بالشاعرين رغم ان الموضوع كان واحداً .

وماذا نتبين بعد من القطعتين . نتبين ان الاول يكاد ينطوي على نفسه ، فلا يحدث سائلته الا بهومه - متشائماً - وتبرمه بالحياة التي يحياها . ولعلها تجد في قوله غلظة وجفاء هي لا تستغفرها - او لعلها قد توقعتهما - من شيخ كبير مثله . بينا الثاني ينشرح لمحدثته ويحدد لها الذكريات متجعلا . شأن الرجل المذهب الذي دمثت اخلاقه ، فهو لا يرى في الحياة الا فالاً لكل خير . فلو كان عصرها يغشى معنا الصالونات لما أتى بأحسن من هذا .

وقد استشهدت بهذين الشاهدين للدلالة على ما ذكرت ولأمر آخر طريف يعتقد كثير من الادباء انه من مستحذات شعراء العصر لطرافته . فلا اود ان تفوتني الفرصة للإشارة اليه وان كان لبعثه في الكلمة محله . فلعلكم لاحظتم ان كلا الشاعرين في بعض ابیات له لا يستكمل معانيه - كعهدنا بالقدامى - في حدود قوافيها . بل يتجاوز بعبارته التي هي امثله شيء بالكلام المرسل الى كل بيت تقال له . فتشغل بما يتعم معناه شطره او بعض شطره . ثم يستأنف الكلام في الشطر الباقي بعبارة له جديدة . وقد قرأت مؤخراً للاستاذ جبرا^١ تعليق استحسنات على قصيدة

(١) مجلة الآداب عدد مارس ١٩٥٤ : « قرأت العدد الماضي » .

لشاعرتنا المبدعة فدوى طوقان تمتاز في شعرها عموماً بهذه الظاهرة .
فلعله يروق له في هذه الدرّة القديمة ايضاً « فيض ابياتها الواحد
فيما يليه » .

واقول الدرّة القديمة فان هناك فيها - بعد - حجة اقوى
لدعم حقيقة ناصعة في بياضها كوجه الدهر آمنت بها دائماً وطالما
تناساها كثير من الناس بدلالة تقسيمهم الشعر الى قديم وجديد ؛
فليتهم علموا ان الشعر الجيد لا زمان له .
فهذا فيما يتعلق بنموذج لبعض هذه العلاقات النفسية التي تقوم
حول اي موضوع يسجله الأدب بين ذاتين .

العامل الواقعي في الشعر

واذا رجعنا الى ذات الشاعر المتكلمة فتساءلنا اي شيء يمثله
شعر الشاعر عنها، وجدنا انه كفرد قليل بنفسه في هذا الركن من
ارض بلاده يحفره عاملان اثنان احدهما واقعي والآخر مثالي .
ولعلكم تذكرون في بعض ما قررت ان الانسان تبقى حقيقة
ذاته ابداً مجهولة لديه . وانما هو يتعرف منها بصورة لها كما يخالها
في دخيلة نفسه ثم بصورة لها ثانية كما يقدر لها هو الظهور بين الناس .
فالشاعر اذا تحدث عن شئونه الخاصة التي تتعرض لها حياته كان
مدفوعاً بالعامل الواقعي في كل ما له مساس بالصورة التي يخالها
لذاته ^١ . ويكون صدقها في ميزان العاطفة على قدر مطابقتها
لواقع الحياة . اذ ننشأ تحت هذا العامل كل العلاقات النفسية التي

(١) راجع الملحق .

تنشأ بين الشاعر وذويه . واطنكم تستطيعون ادراك ما اقصده من
هذا البيت الفذ لأبي نواس :

يا ويح أهلي ، أبلي بين أعينهم على الفراش ، ولا يدرون مادائي
فشعر العذريين كلهم وما أنشده ابن الاخنف في فوز وخمريات
ابي نواس خاصة وروميات ابي فراس في الأمر هي ان شتم من
هذا الباب .

حدث اسحق الموصلي قال : قرأت على الأصمعي شعر امرئ
القيس فلما بلغت الى هذا البيت :

أمن اجل أعرابية - حل أهلها

بروض الشرى - عيناك تبعد ران
فقال لي : أتعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهر ؟
قلت : لا ! فسكت عني . فقلت : ان كان فيه شيء فأفدنيه .
قال : نعم . أما يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين ذي قدرة
على ما يريد ...

قال اسحق : وما رأيت قط مثل الاصمعي في العلم بالشعر .
ومن نماذجه المختارة في الشعر الحديث « وطني » (١) لايليا
ابو ماضي و « القمر العاشق » (٢) لعلي محمود طه و « اللقاء
الاول » (٣) لعبد الحميد السنوسي و « الشقيقتان » (٤) لنزار
قبايني و « ليلة تجتازين بستاننا » (٥) لسعيد عقل و « قلق » (٦)
ليوسف غصوب و « رسائل محترقة » (٧) لابراهيم ناجي و « حاملة »
(٨) لأكرم التوتري و « أخبار القرية » (٩) لكاظم جواد ؛ ومثلها
في الجودة « امطار » (١٠) لعبد الوهاب البياتي (ولا أدري من منها

(١) راجع الملحق

سبق الآخر) و « في المستشفى » (١١) لصالح جودت و « الى
صورة » (١٢) لفدوى طوقان ولها من امثالها كثير و « لقاء »
للمرحوم عبد السلام عيون السود . فاليكم على الأقل هذا الشاهد
الاخير :

انا يا صديقة ! مرهق حتى العياء ، فكيف أنت
وحدي امام الموت ، لا احد ، سوى قلبي وصمتي
والليل ، اعرق ما يكون .. سرى . واسفار بعيدة
وهناك في الأعماق ، آهات ، واشواق جديدة
أهفو ، فتلفت الطريق ، وتساءل النسائم عني
ويروى وجهك في الدهول ، فيطمئن اليه ظني ،
غمر اللقاء جوارحي ، بالورد ابيض ، والعبير
وكان أنفاس الصباح ، تخط كالرؤيا مصيري
أسعى اليه مرتجأ ، متقطع الخطوات ، مثقل
وبجهتي !! مثل الرفيف .. وفي شفاهي الشعر يسأل
وان هذه القطعة ، مع اخواتها كثيرات ، على صفرها
- ولعله بفضل صفرها - لتساعدنا على استخلاص تعريف للشعر
الغنائي يسري حكمه على نتاج جميع الامم وفي كافة العصور .
فما الشعر الغنائي في حقيقة تكوينه الاحل وتركيب لانفعالاتنا
في اطار موسيقي ، يوحى بأجوائها من جهة تألف الالفاظ على
موقع تسيغه طبيعة اللغة ، لتتغايل في الذهن بحكم ما لهذه الالفاظ
من دلالة رمزية من جهة ثانية تلك الأخيلة التي تريد هذه
الانفعالات تمكيناً ، بحيث تتضافر الموسيقى والأخيلة معاً ، أولاً

واخيراً، لتعدينا من جديد، بما سبق للشاعر من تجاربه الشعرية^١.

العامل المثالي في الشعر

فهذا هو صنع العامل الواقعي . ولكن العامل المثالي بالاندماج معه هو الذي يحفز الشاعر الى التحدث عن الشئون العامة وما يتصل بحياة الناس الاجتماعية .. لا عن شئون حياته هو .. باعتباره عضواً في المجتمع يملأ فراغاً فيه، في كل ما له تماس بتلك الصورة من ذاته التي يود الظهور بها بين الناس . ويكون صدقها في ميزان العدالة على قدر مطابقتها لما تواطأ عليه الناس من تقاليد واهام . اذ تنشأ تحت هذا العامل جميع الاساطير التي تأخذ بها الامم والشعوب بين خرافة ودين . ولعلكم تستطيعون لمس ما اعنيه من هذا البيت المفرد لابن النبيه :

الموت نقادٌ ، على كفته جواهرٌ ، يختارُ منها الجياد
فمراثي ابي تمام مثلاً وما أنشده المتنبي من المدائح في كافور ،
وغزليات الشريف الرضي ، وما نظمه ابو العتاهية في الزهد لا
تتعدى كلها هذا الباب .

ومن نماذجه الحديثة المقبولة « يا نفس » (١٣) لنسيب عريضة
و « اخي ايها العربي » (١٤) لعلي محمود طه و « الدمعة
الحرساء » (١٥) لايلى ابو ماضي و « الفلاح » (١٦) لأحمد الصافي

(١) انظر التفصيل في كتابنا « الشعر والفنون الجميلة » (مطبوعات دار
المعارف بمصر) .

و « ارادة الحياة » (١٧) لأبي القاسم الشابي و « لحظات الاشراق
الفني » (١٨) لمحمد محمود الزبيري و « يا جهاداً صفق المجد له » (١٩)
لبشارة الحوري و « ايها الجندي العربي » (٢٠) لعمر ابو ريشة
و « الشهيد المجهول » (٢١) لفؤاد الخطيب و « الى الثيمة » (٢٢)
لنزار قباني و « سعاد » للشاعر القروي . فلاؤرد لكم هنا هذه
الاخيرة :

بدتْ ولهي بمزقة الفئاع فقلت لها ، فديتك لا تراعي
فدون حماك ابطال العوالي مؤزرة بأبطال البراع
رماح كالأفاعي مشرعات وأقلام كانياب الأفاعي
أطلتي واشهدي منهم هجوماً ترَي وثب الفئاع على الفئاع
وهل عربية هذا أخوها تراعي اذا دعا للحرب داع
فلكلا العاملين اذن اثر بعيد في عالم الشعر والفنون . اذ هما
يتعاوران العمل دعاً على خلق كل اثر فني . بيد انه اذا رجعت
في حياة شاعر كفة هذا العامل الثاني .. العامل المثالي .. مال
بذاته التي يريد لها الظهور ميلا شديدا ليقمص ارواحا شتى فذهب
في حدود امكانياتها يحيا كل دور تختاره له على مسرح الوجود .
فاذا أخذت تتحدث طاب لها ان تتحدث من وراء ألف قناع وقناع .
فهذا فارس سعد مثلاً ينشد في « الشموخ » :

هل تجاهلت ، ام جهلت بلادي

هي مسرى الشدى ومغدى الشوادي

قمة فوق ساعد اليم تنمو ملء عين السما وحض الوهاد

(١ - ٢٢) راجع الملحق

يُورِقُ العِزُّ فِي ذُرَاهَا، وَتَجْرِي فَوْقَ خُضْرِ الْأَمَالِ بَيْضُ الْأَيَادِي
كَسَتْ الْأَرْضَ فَضْلَهَا، وَهِيَ لَيْسَتْ
تَكْتَسِي مِنْهُ لَغَيْرِ الْغَوَادِي

وَأَنَا ابْنُ الْجِبَالِ تَشْمَخُ فِي خَلْدُ قَمِي، وَتَرْغِي سِيُولَهَا فِي احْتِشَادِي
مَا تَلَوْنَتْ فِي هَوَايَ، وَلَا لَوْ نَتُّ شَعْرِي بِغَيْرِ لَوْنِ بِلَادِي
رَفَعْتَنِي عَلَى سَوَاعِدِهَا الْخُضْ رَ، وَأَدْنَتْ مِنْ السَّمَاءِ وَسَادِي
فِي فَمِي صَوْتَهَا، وَنُورُ ضَحَاهَا فِي جَبِينِي، وَخَصْبُهَا فِي فَوَادِي

عَذَلْتَنِي عَلَى الشُّمُوحِ، كَأَنِّي لَمْ تَلِدْنِي شِوَامِخُ الْأَطْوَادِ
أَنْبَشُ النَّارَ مِنْ تُرَابِ جَدُودِي فَأَغْذِي بِلَفْجِهَا أَحْفَادِي
جَهْرَةً، مِنْ جَمَامِرِ اللَّهِ، حَاشَا أَنْ يَغْطِيَ عَلَى اللَّهْبِ رِمَادِي
فَذَاتُ الشَّاعِرِ هُنَا لَمَّا تَنْطِقُ بِوَحْيِ وَطَنِهَا وَلِسَانِهِ وَكَأَنَّمَا
تَشْمَخُ بِنِي هَذَا الْوَطَنِ شُمُوحَ جَبَلِهِ الْأَشْمِ .

وهذا شاعر عراقي ينشد في « لمن البلاد ؟ » :

هَذَا الْفِرَاتُ وَهُوَ تِلْكَ التُّوَارُ فَعَلَامَ هَذَا الذِّكْرِيَّاتِ تَثَارُ
مَاذَا تَبَقَّتْ مِنْ مَعَالِمِ ثَوْرَةٍ كَبُرَى سِوَى مَا تَزَعُمُ الْأَخْبَارُ
عَقِبَى الْجِهَادِ مَغَانِمُ مَسْلُوبَةٍ وَمُضَارِبُ مَنُوبَةٍ وَبَوَارُ
هَذَا بِقَايَا الثَّائِرِينَ هِيَ كُلُّ يَلْمُوهَا التَّجْوِيعَ وَالْأَفْقَارُ
قَسَمًا لَوْ أَنَّ عَلَى السَّوَادِ لِحْجَةً مِنْ سِنَّةٍ مَا عَاقَبَهَا الْجَزَارُ

آمَنْتَ أَنَّكَ قَاهِرُ جَبَّارِ الْمَوْتِ يُرْعِدُ مِنْهُ وَالْأَقْدَارُ

وبأنَّ عزمَكَ قوةٌ سحريةٌ
وبأنَّ عَضْبَتَكَ الخفيفةَ نِقمةٌ
وبأنَّ وعيكَ ثورةٌ يَعْنُو لها
مهج الضحايا الدامياتِ شواهدُ

يَجْثُو الرصاصُ لها وَتَخْبُو النارُ
يرتاعُ منها الجحفلُ الجرَّارُ
جيدُ الزمانِ وَيَنْجِي الأعْصارُ
للشعبِ تشهدُ أنه جبارُ

يا جَارُ ! هَبْنَا لهبةً يا جَارُ
أَمَمْتَ زَيْتَكَ ، والعراقُ مُؤَمَّمُ
هَبْنَا للهِيبِ نَهْبَكَ أروَعَ غَضْبَةٍ
الشعبُ يَطْعَنُه البلاءُ ، وتحتَه
وعلى ظُهور الكادحينَ بَأْمَتِي
غرِقَتْ بلادِي في الظلامِ ، ومن سَنَى أَبْصارَنَا تتأَلَّقُ الأنوارُ
الزيت من عرَقِ الشعوبِ مَقْطَرُ

ومن الجفونِ تَفْجُرُ الآبارُ

يا جَارُ ! هاتِ يديكَ . فالشرقُ أوعَى
فاليوم لا غَبْنُ ولا استئثارُ
فذاكَ الشاعرُ هنا إنما تَجَارُ بلسانِ شعبه وكأنها تعبّرُ عن حاجة
كل فردٍ فيه .

وهذا الشاعرُ القروي يَنْشُدُ في « فاتحةِ الأعاصيرِ » :
الهي رُدِّ مالَكَ من أَيْادٍ عَلى وَطْني ورُدِّ له الأيادُ
خلعت على رباه الحسنَ فذاً وألبست القطينَ به الحدادُ
وما شرف الجبالُ لساكنيها وشم أبائهم خُصفت وهادا
اهيب بهم فلا ألقى سَمِيعاً كأنني المُنَادِي والمُنَادَى

ألا ذوقتهم ألمي فثاروا فيا ربّاه لست أنا البلاد
 مشبول الارز! بات الحلم عجزاً وبعض الصبر موتٌ ان تمادي
 فكونوا النار تحرق.. اوقذى في عيون البطل ان كنتم رمادا
 فكان ذات الشاعر هنا تجهر بلسان زعيم امة حمل رسالة
 لارشاد أمته فهو يؤديها .

وهذا محمد مفتاح الفيثوري ينشد في « ماذا ارى ؟ » :
 ماذا ارى يادموع .. قصراً أرادَه المجدُ ان يكونا
 حيطانه تلك ، أم مرايا من فوق حيطانه جلينا
 كأن جدرانَه الزواهي صقن بالشمس او طلينا
 يا جنة الخلد ، في مداه وحوله تفتن العيونا
 انّا عدمنّاك .. مشتهدنا كما اشتهدناك .. معدمينّا
 لا تقبلي بالنسيم ، انّا من ننس الأرض زاكمونّا
 لا ترقي للربيع ، انّا من ظلمة الكوخ قد عمينا

ماذا ارى يا حياة ... اني جننتُ من حيرتي جنونا
 قبران .. ذا شيد من رخام تخطف الوانه العيونا
 وذاك في صخرة نجيت - أقسمت - ما كاد ان يُبينّا
 هذا عليه الربيع ضاف رف ورداً وباحمينّا
 وذاك يسمي الحريف فيه يبارك العوسج اللعينا
 اوّاه يا عقل ! .. يا سطوراً تنطق بالسخرات فينا
 حتى امام الفناء فرق ميّزنا جوهرًا وطينا
 فكان ذات الشاعر تتحدث هنا باعتبارِه انساناً يشعر بالحسرة
 لقاء « الأمانة » التي خانها في نفسه اخوه الانسان .

وهذا ميخائيل نعيمة ينشد في « اذا » :

اذا سماؤك يوماً تحجبت بالغيوم
أغمض جفونك تبصر خلف الغيوم نجوم
والارض حولك أما توشحت بالثلوج
أغمض جفونك تبصر تحت الثلوج مروج

...

وان بليت بداء وقيل : داء عياء
أغمض جفونك تبصر في الداء كل الدواء
وعندما الموت يدنو واللحد يفغر فاه
أغمض جفونك تبصر في اللحد مهد الحياة

فكان ذات الشاعر هنا تدمدم بلسان الحق الذي يحمل نوره
معه لهداية الخلق اجمعين .

وهذا عبد الرحمن صدقي ينشد في « ميراث الكون » :

طلع الكون بعد طول مغيب
فقد اجنة ، فلاذا بأخرى
فلغير الخلق قد خلق الكون
كل ما يطبق الفضاء عليه
غضب الدهر حقنا ، فاقض حقي
انه الحب ، حسبنا من وجود
تسبي مهجتي بحسن أنيق
نتلاقى بسمع من غريم
جهد هذا الانام .. لو أضعف الشبه
رُبمعى بكري ولفظ قشيب ..

ان يَعا ما أصرَّغُه من نسيبٍ ويروا فيكَ صدقَ هذا النسيبِ
فكان ذات الشاعر هنا قفص بلسان العصر عن مآل حب آدم
وحواء الأرضي بعد طردهما من الجنة في وجه الدهور .
وهذا العوضي الوكيل ينشد في « معاد الربيع » :
عُدتْ يا صاحبي الربيعُ ! وعُدنا

فامض في الكون كيف شئت واتى ..
قد نقلنا عنك القصائد زهراً فاروِ هذي القصائد الزهرعناً
وقبَسنا ما شاقنا من مرائب لك ، وهل ثمَّ منظرٌ لم يشقنا
قد شملت الحياة ركناً فركننا وغمرت القصيدة وزناً فوزناً
لك مسرى أخفى من الروح في الجسد م ، تهادى في خاطري واطمأناً
قد سلكت الحياة في سببٍ من لك ، فزدت الحياة سحرآ وفناً
أنت في الغصن حينما يتثنى أنت في الطير حينما يتغنّى
رُبَّ لحنٍ سرى إلى النفس روضاً ورياضٍ سرين في النفس لحناً
ضمَّ عودُ الربيعِ بلبلةَ الأك

وان طرآ ، فصرن في النفس كونا
فترون ذات الشاعر هنا تتمخطى الحياة نفسها لتعلن بلسان
الطبيعة العمياء كيف فتح الربيع لها عَيْنين تتأمل بها وجودها .
فهى تغسّي للوجود بشوقها العائد .

وهذه نازك الملائكة تنشد في « انا » :

الليلُ يسألُ مَنْ أنا
انا سره القلبي العميقُ الأسودُ
انا صمته المتمرّدُ

قَتَّعْتُ كُنْهِي بالسكون
ولففتُ قلبي بالظنون
وبقيتُ ساهمةً هنا
أرْنو وتسالني القرون
أنا مَنْ أَكُونُ

الى آخر القصيدة . فترونها هنا تتجاوز العصر والمكان لتتدفق
بلسان الحياة نفسها تباها امام فضاء الدهر بسرّها المكنون .

وهذا عمر ابو ريشة ينشد في « طلل » :

ففي قدّمي .. انّ هذا المكان
رمالٌ وأنقاض صرحٍ هوت
أقلّب طرقي به ذاهلاً
أكانت تسيل عليه الحياة
وتشدو البلابل في سمعه
أأستنطق الصخر عن ناحيته
حوافر خيل الزمان المشت
فما يرضع الشوك من صدره
وتلك العناكب مذعورة
لقد قعبت منه كفت الدمار
هنا ينفذ الوهم اشباحه
فترون ذات الشاعر كيف تنذر على لسان الزمان هنا قوى
الموت نفسه بالاندحار امام جلال سلطانه الازلي . ومثل
هذا صنع الشاعر في رائعته « المرأة والتمثال » .

وهذا ابراهيم الوائلي ينشد في « مواكب الصحراء » :
جُئْتُ البِيدُ : فالسكون هباءُ ذوبته الرياح بين يدينا

كلماً قلت : سوف يطلع فجرٌ ! تَخَذَ الليل قولتي سُخْرِيَا
كلماً قلت : سوف ألمح نجماً ! قالت السحب : لن تَرَى ثم شيئاً
ثم على الشوك في الفقار وحيداً وتنسم غبارها وتقيها
واسمع الريح ان أردت غناءً وتجرح من الجلاميد ريتاً
ليس في الفقر غير ذنباً من التيه ، يعيش الطريد فيها ويحيا
أنظن الاموال مئوى رقيقاً ؟ أم تظن الرياح لحناً رخياً ؟
أم تحال الصخور تندی ، فتروي ظمأ او تبل قلباً صديداً ؟
عش كما شاءت الحياة غريباً واتخذ وحشة الظلام نجياً
فترون ذات الشاعر هنا كيف تستلهم روح الأرض لتقضي
على لسانها الى الليل باصراها .

واخيراً هذا رشيد سليم الخوري في « البسوع » :
فتي الهيجاء ! لا تعتب علينا وأحسن عذرنا تحسن صنيعا
اذا حاولت رفع الضيم ، فاضرب بسيف محمد ، واهجر يسوعا
(أحبوا بعضكم بعضاً) .. وعظنا بهاذنباً ، فما نجت قطيعا
فيا « حملاً وديعاً » لم يخلف سوانا في الوري حملاً وديعا
غضبت لذات طوق حين بيعت ولم تغضب لشعبك حين بيعا
ألا انزلت انجيلاً جديداً يعلمنا إباء ، لا خنوعا
شفعت بنا أمام « أب » رحيم وما نحتاج عند « أب » شفيعا
أجرنا من عذاب النير ، لا من عذاب النار .. ان تك مستطيعا

فأي روح غير روح التاريخ نفسه تتفحصها ذات الشاعر هنا
 لتناجي على لسانه من حوّل تاريخ البشرية عن مجراه .
 فهكذا تتفحص ذات الشاعر أرواحاً شتى لتحمي كل دور في
 حدود امكانياتها يقع عليه اختيارها على مسرح الوجود .. متحدّثة
 للسامعين كما قلنا من وراء الف قناع وقناع .
 وقد اعجبني في هذا الصدد قوله للكاتب الشهير محمود تيمور
 في بحث له منشور^١ قال :
 « الكاتب قرين الممثل على منصة المسرح . ولزام ان يتوافر
 للممثل امران : موهبة ، واستجابة ...
 « فمتى كان موهوباً في فنه ، مستجيباً للشخصية التي يريد ان
 يشخصها في اها به ، استطاع ان يتلبس بموضوعه مستعيناً على ذلك
 بالوان المعاليج التي تيسر له مكنة التمثيل والاندماج » .
 وانا اقول : كذلك الشاعر .

هل يمثل الشاعر نفسه ؟

ولعل هذا الطابع المسرحي في حياة الشاعر الفنية يساعدنا على
 الاجابة على السؤال : الى اي مدى يمثل الشاعر نفسه ؟ فالبيان
 — لا شك — بانه ، ولكن الذوات التي تقوم وراء هذا البيان
 ليست دائماً ذاته ، الا في الشعر الغنائي الخالص حيث ينغمر الشاعر
في عالم نفسه فلا يرى شيئاً سواها ، فهذا هو الذي يجعل بين الشاعر
 وبين هواة شعره عاملاً مشتركاً لا يجوز تجاهله بحال . فكأن اغلب

(١) الفنان بين الواقع والالهام « مجلة الأديب عدد فبراير ١٩٥٤ »

هؤلاء يصيبون عن ذواتهم في بيان الشاعر - وحتى في الغنائي الخالص منه أحيانا - تعبيراً ما كان الشاعر ليطمئن ابداً الى مبلغ صدقه الى هذا المقدار ولو عن نفسه .

وذلك لسبب بسيط . فكما ان الواقعية والمثالية تعملان معا في خلق كل اثر فني ، هذه بتجريب الانطواء والانفجار للشاعر وتلك بتيسير التجرد والانطلاق له ، فكذلك هما تعملان في حياة المستمعين اليه او - بتعبير ادق - من يمثل بين يديهم الشاعر على المسرح من النظارة . فيرون على ضوء الواقعية في شعره صورة لواقع حياتهم الخاصة أحيانا . وعلى ضوء المثالية صورة ما يجب ان تكون عليه الحياة على العموم . ولعل في هذا تعليلا ولو بعض التعليل ، وتبريراً ولو بعض التبرير ، لهذه الكثرة الكثرة من شعر الفخر والحماس الذي نشأ في ظله الادب العربي منذ الجاهلية ، والمدائح التي كان يتهاافت عليها الملوك والاعيان في عصوره التالية ، وهذه القوميات التي ما فتىء يولع بانشادها اليوم السامعون .

ولذلك فأنا لا استطيع ان افهم كيف تتنصل بعض الاقلام^١ عندنا من الناحية الادبية الصرفة عن عهدة ما حررتة منذ سنين . فلا تعتبره يمثل اليوم شيئاً عنها في وضعها الحالي . انه قد يمثل او لا يمثل بالنسبة الى ذواتهم التي يقدرون لها الظهور على المسرح في هذه الساعة ، ولكنهم ينسون - او لعلمهم مجهلون - ان صورتها كما يراها الناس تختلف دائماً عن هذه الصورة التي يودون

(١) راجع استفتاء « الآداب » عدد شباط ١٩٥٤ - ما رأيكم في مؤلفانكم ؟

بها الظهور . فما يمنع ان تكون صورتها الاولى عند هواة الأدب خيراً من صورتها الثانية عند الاديب نفسه . ثم ان ما حرروه في الماضي لا يخلو - في واقعيته بعض الاحيان ومثاليته على الدوام - من هذا العامل المشترك الذي يجمعهم وهواة فنهم على صعيد واحد . وفي هذا قيمة الاثر الفني وجدته التي لا تبلى على مرور الايام . فالأدب - مذ كان - تعبير عن حياتنا في الوقائع لا تقرير للوقائع نفسها . ان الصورة التي يتمثل الناس بها المثني مثاليست تلك التي تمثلها كافور غداة فارق الشاعر بلاطه ، وانما هي مستخلصة من جماع هذا المنشور بين أيديهم من ادبه الحيّ في ديوانه الصغير حجماً من الفه الى يائه . ولو جاز للمثني ان يتبرأ لتبرأ من كل مدائح في كافور . فما الادب الحي بثوب يخلع بعد ابلائه مهما اهتم بفترات عمره الاديب .

طبقات الشعراء

أخشى اني اطلت عليكم في الشرح . ولكن على ضوء ما سبق وحده نستطيع ان ننزل الشعراء منازلهم ونفسر ما ذهبت اليه دائرة المعارف البريطانية من تقسيم الشعراء الى طبقات :^١
فأقلّ الشعراء في عبقر حظاً ذاك الذي تحفزه واقعيته وتستبد به فلا يستطيع ان يقصح الا عن ذات واحدة بلسانه : تلك هي ذاته التي ينطوي عليها انطواء ، وطابعه الغناء المحض . فهذه طبقة واحدة . وتضم هذه الطبقة معظم الشعراء الغنائيين .
وأوفر من الشاعر الغنائي نصيباً الذي يعتوره العاملان من

(١) راجع كتاب « نقد الشعر » لنسيب عازار .

الواقعية والمثالية معاً على اختلاف في الرجحان بين العاملين ؛ فهو يستطيع - ولكن بلسانه الواحد فحسب - الافصاح عن ذوات عدة يقوم هو بتمثيل ادوارها على مسرح الحياة في شخصه . فهذه طبقة ثانية وهم اقل رهطاً من الغنائين ولكن اسمى منهم مقاماً . فمن هذه الزمرة الفردوسي صاحب الشاهنامه ودانتي صاحب الملهمة الالهية وملتن صاحب الفردوس المفقود وفرجيل شاعر الرومان وبندار وسواهم ، على تفاوت بينهم في المنازل يقدرها لهم نوع المثالية التي ينعمون بها في عبقر بما يجعلهم في الواقع اكثر من طبقة . فلا يبلغ الذروة في سماء هذه الطبقة الا الأقل ممن يعتقد بهم من الشعراء اللامعين .

وأكمل الشعراء حظاً وحظوة من تسيطر عليه النزعة المثالية صرفاً في اجود حالاتها . فهو يستطيع ان يفصح بعدة ألسنة للسانه الواحد فقط . وفي سبيل ايجاد من (وما) هو معدوم بوشك ان يعدم ذاته . فكأنه يخلق في عالم الشعر خلف ذاته دنياً جديدة حافلة بالذوات تضاهي دنيا الناس . فهذه طبقة ثالثة . وهم أندرو من الكبريت الاحمر كما يقولون أو الأورانيوم كما قد نقول الآن ، فما عرفت منهم الانسانية في تاريخها الطويل الا افراداً يعدون على الأصابع . منهم هوميرو وشيكسبير واسخيلوس وسوفوكليس ومن كان على شاكلتهم في مثاليته الخاصة .

وأحذركم هنا من ان تظنوا بأن ما ترجم من روائع هؤلاء يستطيع ان ينقل اليكم غير نفخ من حقيقتها الشعرية في اسعد الحالات . لأن ملابسة الذوات هي مبدئياً عملية خلق عند الشاعر الأصل كخلق الباري لها ، ولا تظهر الترجمة ارتعاشاتها إلا تقليداً

الفصل الثاني

الشعر العربي خلال العصور

نستطيع الآن ان نلتفت الى الشعر العربي على بصورة لنلقي على ما يميزه عن سواه وما قد مرت به من اطوار تاريخية في عصوره الطوال نظرة على عجل قد تساعدنا على تفهم آخر اطواره في نتاج اليوم .

فأول ما يلاحظه الأجنبي وهو يلقي السماع الى الشعر يلقي في محافلنا صفة انشاد في اهله يدهش لها جداً . وقد نشأت نشأتها الطبيعية في عصر الجاهلية ، ولكنها لا زالت الى اليوم تعمل عملها الوريثي فينا . فبينما نجد غيونا من الامم توتل اشعارها ترتيلاً ، حتى الانكليز وهم الذين يعتبرون أبلى الناس حساً في الفنون وأبردهم طباعاً ، بحيث يحس السامع بهذا الجو السحري الناعم الذي يسبغه الشعر على النفوس غائماً حتى في الفضاء حوله ، يجد انه ليس ثمة فارق عندنا بين الشعر والخطابة مطلقاً . فاذا كان الشاعر عند غيونا يملك عليه لبه

لا شعوباً بالتنعيم ، كأنامل تعزف في هدأة الليل على قيثارة ، فإن
الشاعر عندنا لا يسلك عليه سمعه الا واعياً وبالمقاطعة والتصفيق
كأصابع توالي في وهج النهار ضرباتها على طبل .

عامل الخطابة في الشعر الجاهلي

ولشعرائنا عذرهم في ذلك . فقد تبلور الشعر عندنا - كفن -
اول ما تبلور على غرار الخطابة . فكان يلقي به في المحافل والاسواق
- كسوق عكاظ وغيرها - ليؤدّي مثلها خدمة اجتماعية . وقد
كان هذا لا بد منه بين اقوام نشأوا على الأمية فكل اعتمادهم في
تأمين الحياة لأنفسهم لا يتجاوز آصرة نسب بين القبائل وقوة
السلاح . وكل اعتمادهم في صحة قضيتهم لا يتعدى عمل الذاكرة
وما تتناقله ألسنتهم من الاخبار . وكان لكهان القبائل وخطبائها
شأن توجيه السياسة العامة في سبيلها السوي وما يقتضيه كفاح
مجتمعهم من تعيين دائب لمنهج البدوي في الحياة وإيمان قوي بالمبدأ
ودستور بين للعمل . وذلك لسهولة حفظ الأمن اذا كان في هيئة
ضمان اجتماعي . فأخذ ذلك عنهم الشعراء ودأبوا يرددونه على
الأمم في كل مناسبة ومقام لسهولة حفظ الكلام وروايته اذا
جاء منظوماً . فكان عمل الكل في ترجمه وتكراره لا يختلف عن
عمل الصحافة الحزبية في عصرنا الحديث .

وقد كانت حياة العربي في البداوة بسيطة جداً . فلم يعرف
من الحياة الا لونين . فما لم يكن ابيض فهو اسود عنده . اذ لم
تكن في البادية التي يسرح فيها ظلال . فجاءت لغته ناصعة الدلالة

تقطع بالرأي في الأمور قطعاً . لا لبس فيها عند من يتلففونها في
ارجاء البادية ولا غموض . لأنه كشاعر - وقد كان جلستهم شعراء -
لم يكن غرضه ترفيهاً عن نفسه بقدر ما كان تقريراً لمصيرها في مجتمع
كل فرد فيه يقفو اثر سواه . فهذا شأن البدوي الى اليوم ، يعيش
في واقعية صريحة من ذاته ، فلا تبطن غير ما يظهر ، محدودة الأفق بما
يسمع ويرى ؛ ومثالية ضيقة لا تتجاوز اهداف القبيلة والسير على
نهج الآباء . فكان المثل الأعلى للعرب ما سجله احدهم قديماً في قوله :
لسنا وإن احسانا كرمتم يوماً على الاحساب نتكل
نبني ، كما كانت اوائلنا تبني ، ونفعل مثل ما فعلوا
فهم لم يفعلوا شيئاً « فوقهم » الى الآن .

هذه الواقعية الصريحة هي التي جعلت الشعر الجاهلي في نصاعة
بيانه قبلة انظار العرب جيلاً بعد جيل ، وطبعت بطابعها اسلوبهم
على مدى الاجيال . فهو عندي لهذا الاعتبار وحده اصدق شعر
- عن مجتمع واقعي - على الاطلاق ؛ بغض النظر عن قيمه الانسانية
التي هذبها فيما بعد الاسلام .

اثر الاسلام في تطوره

على ان الشعر الجاهلي هذا (الذي يقوم عليه كيان العرب
الادبي الى اليوم وثقافتهم اللغوية كلها) ، وقد كان ناظمه بمثابة بطل
مسرحية هو واضعها طالما قام بتمثيل وقائعها مجزأة في حياته على
مسرح البادية ، ظل اهل الجاهلية يبدئون فيه ويعيدون حتى

بشموا وأتحموا لضيق دائرته ^١ . فكان قبيل الاسلام قد استنفد جهده ، باعتراف الجاهليين انفسهم . فهذا زهير يقول :

ما أرانا نقول إلا مُعاراً أو معاداً من قولنا مكرورا

فلما اجتمعت بالاسلام كلمة العرب وقام لهم به كيان كأمة ، صاروا تحت راية القرآن يحملون نوره الى ما جاور الجزيرة من الآفاق ، ويؤدون رسالته الى امم تعيش من طبقاتها في ظلمات . فأمنت كرها برسالتهم وهي لا تكاد تفقه سر العربية ، وأمنت على نفسها بالطاعة لتظاهروهم في التفقه باللغة والدين ^٢ . وقد شارك ابنائها العرب في سياسة الدولة بالتنظيم ، وخاطوهم في النسب بالموالاة ، وفتحوا لهم ابواب العلوم بالترجمة ومهدوا لشبابهم مسيل حياة ظاهرها التقوى وباطنها هم أعلم به .

أما الشعراء من بني الجزيرة فلم تبق امامهم - بعد ان توطدت حياتهم بالاسلام - إلا ان يتخلوا عن مهمتهم كخطباء في السياسة والحرب ، وقد قاموا بها الى حين على احسن وجه ، فعادوا بما حذقوه من اسلوب الخطابة الى المسامرة والحديث في ظل فردية طاغية ، يحاولون ان يشقوا لهم بها في الشعر مسالك جديدة . فكان منهم من انطوى على نفسه يغني بالحلب في نطاق لم ينكره الاسلام . وكان منهم من عاد يتخذ الناس سخريا لأنه وجد مجتمعا جديداً قائماً بعضه او كله على نفاق . وكان منهم من استمر في التنابد

(١) راجع «ثقافة الناقد الادبي» للدكتور محمد النويهي — الفصل الرابع.

(٢) راجع «مقدمة لدرس لغة العرب» للعلامة العلايلي ومقاله في «الآداب»

عدد «٢» عام ١٩٥٣ .

بالألقاب اظهاراً للشخصية بعد ان ضاعت معالمها في قبيله . وكان منهم من مضى ممعناً في لهوه وعشه يخوض في شؤونها امام الناس . وعاد الشعر مباهاة بالقول وفخراً وحماساً في غير مجال بعد ان كان سجلاً للعرب حافلاً بجلائل الاعمال .

هل استحدثت العرب جديدة ؟

ولم يمض القرن الاول حتى كان الموالي قد بدأوا ينازعون العرب حبل كل شيء .. حتى الشعر . فنافسوه في نظمه حسب تقاليد عربية ، ولكن تدفعهم عليه دوافع لا عهد للعرب بها . فهم تارة يحاولون صياغة معاني العرب القديمة في قوالب فنية جديدة اظهاراً لقبضهم على ناصية اللغة واستقطاراً لامكانياتها وتنكيلاً بالعرب البداءة . وهم طوراً يوغلون في استقसार اخيلة ملوثة اقتبسوا ظلها من آداب الفرس - في اكثر ما فعلوه - كزخرفة هذا السجاد الذي كانوا يتسامرون عليه . كان ينقر منها الذوق العربي احياناً لأن الفطرة التي فطر الله العرب عليها وطبيعة لغتهم في سماتها الواضحة كالبادية تأبأها . وهم يسرفون بعد في التلاعب بقيم الالفاظ واظهار محسناتها كهذا الذي يرشح على الورد عطره ليجعله فوق الورد . متخذين مقياس الحسن وحدة البيت لا القصيد . اخذوا بها أنفسهم قسراً وفرضوه على الشعر العربي فرضاً .

كل هذه تجارب كانت تمر خلال العصور بالعرب ولغتهم كالأمواج التي تغشى الشاطئ بهديرها من مدّ الى مدّ . وتنحسر - بعد لأي - الأمواج . ولسان حال البادية يسأل دائماً : هل

استحدثت العرب جديداً ؟ حتى كان هذا الجديد - بعد - في هذه
الاخوانيات التي ابتدعها العصر العباسي الاول ^١ . وفي شعر ابي تمام
الذي لفتح الشعر بالثقافة الجديدة والبحثري الذي لحن الشعر
بالموسيقى وابن الرومي الذي جود الشعر بفن التصوير .

منزلة المتنبي والمعري

ثم جاء المتنبي فحاول ان يجعل شعره جماع ما مرّ باللغة من
تجارب قديمة وجديدة كان بعضها في اعتبار اهل عصره شوائب
وبعضها عندهم حسنات ، تختلف في تقييمها معهم الآن . ولكن
فطرته العربية كانت أغلب فكان بالرغم من كل ما آخذه عليه الناس
من حق وباطل أصدق صوت عربي أخذ من حضاراتهم السائدة
بنصيب بعد ان فطمته روح البادية . بلى ! اسقطوا من ديوانه ما
شئتم فستسلم له - بعد - الحكمة نفسها . وما أروع الحكمة اذا
اوتيت منطق الفطرة الواعية ^٢ .

اعتقد ان شعر المتنبي سيبقى محكماً - ما بقيت لغة الضاد -
لمعرفة من ذوقه عربي أصيل . فلقد رأيت ديوانه - بعد القرآن -
ترتل ابياته ترتيلاً عند أهل البادية من ساحل عُمان . وهي الحالة
الوحيدة التي وجدت فيها شاعراً عربياً ترتل أبياته .
ولم ينبج بعد المتنبي من يطاوله ... حتى جاء المعري فكان

(١) راجع كتاب «امراء الشعر العباسي» للاستاذ انيس المقدسي.

(٢) راجع رسالة البروفسور ماسينيون «حول مقام الثقافة العربية» الى
مؤتمر الاونسكو المنعقد في بيروت في نوفمبر ١٩٤٨ .

فذاً في عصره بل قمة من القمم الشاحنة في ادبنا العربي . بلغت فيه الفردية ذروتها ١ من ناحية العقل المجرد في انطلاقه التام . فتمحدث ما شاء بفلسفة الوجود والأديان في تشاؤم مرّ احباً ما تبرّره حياته الانطوائية . وختم بعده الليل على هذا الأدب الى أمسنا الأول .

فلو سألتنا أنفسنا الآن ما منزلة شعرائنا - وذاك شأنهم - من الشعر العالمي وبالاخص في طبقات كبار من عرفناهم ، كان رائدنا في الجواب - على الأقل - بيتنا . فأمثال البحتري عندهم كثيرون وكذلك ابن الرومي . لا لن يقوم في الرفرف من أوسط طبقات شعراء العالم الا المعري وابو تمام . واخشى انه ليس في دنيا العرب من ذروة الذرى أحد ... الا ان يكون المتنبي وحده . وليس ذاك لأنه يفصح بعدة السنة لذوات تطفر منه بالخلق مثل شعرائها ، وانما لأن الحكمة عنده امتداد في الزمان بلا تعيين مكان لحكم سار كالقضاء على الخلق تطبقه الفنون عندهم على مكان بعينه في زمنه الخاص بالتمثيل . ان المتنبي يقف مع شيكسبير وهوميرو جنباً لجنب لأن لغة الضاد ولدت فيه ابنها البكر . فهو لسان غيبها المبين وميد شعرائها على الاطلاق .

وعصرنا اليوم ما شأنه ؟

لقد بدرت بوادر انبعاثه على أيدي شعراء كانت وجهتهم في

(١) راجع مقال « ابو العلاء المعري ومشكلة الزمان » لابراهيم شكرانة ،

مجلة الاديب عدد فبراير ١٩٥٤ .

اواخر القرن الماضي تجديد العهد بالشعر العربي في ألمع عصوره
محاكاة وتقليداً وتخليصه من شوائب الصنعة اللفظية التي كانت
تعتبر غاية الغايات عند شيوخهم وقد رأينا كيف نشأت بذورها
من قبل فأنت ثمارها السيئة طوال عصور الانحطاط . . حتى قرنهم
الاخير . فكان ذلك التفاتاً منهم بعين الحسرة الى الماضي - بدليل
صنع البارودي في مختاراته التي قصرها على ثلاثين شاعراً من
المؤلفين أولهم بشار - اكثر من استيعابهم الحاضر كما يجب ان
يكون . حتى جاء شوقي وحافظ ومطران .

شوقي وحافظ ومطران

فأما مطران فقد توجه جاداً الى تحقيق وحدة الموضوع في
قصائده الطوال بأكمل صورة في اسلوب واقعي متشع بالخيال ،
يظهر فيه تأثره بابن الرومي الى آخر حياته . واما حافظ فلم يفارق
نهج العباسيين ولا يؤثر له في الشعر تجديد ذو بال؛ الا ان تكون
هذه المراثي والقوميات التي اظهر فيها جزع الشعب واشفاقه من
مصيره السيامي . فلا يعدو شعره عن ان يكون جسر انتقال
- كشعر الرصافي والزهاوي معاصريه في العراق - بين عهدين .
وأما شوقي فقد كان يتمتع بموهبة نادرة ، فعارض البحتري وأبتمام
وابن زيدون والبهاء زهير وغيرهم في كثير من شعره ، ونافسهم على
السيادة، وكان موفق الاداء معهم دائماً. ولكنه كان يكبو في السباق
كلما حاول مجازاة ابي الطيب شوطاً بعد شوط^١ . وكانت موهبته

(١) راجع مقال «شوقي» في وحي القلم ج ٣ لمصطفى صادق الرافعي .

تجعل على اروعها في صياغة ابيات مفردة مستكملة لوحدها الفنية
 كالعباسيين ، لافي وحدة سياق القصيد . فمن منا لا يحفظ قوله :
 والحرية الحمراء باب بكل يد مزرعة يدق
 وكان شعره - بعد - مرآة صافية لحوادث العصر واحداثه
 الجسم التي أمت بالخلافة الاسلامية . ولم يفارق الثلاثة عمود الشعر
 في جل ما نظموه . فهو لاء كانوا معاً رواد الشعر الحديث .
 ويجب ألا ننسى ايضاً ان شوقي قد اتجه الى نظم المسرحيات
 في آخر حياته ، فكانت لا تقل دلالة على نبوغه عن احسن نموذج
 لشعره ، لهذا العامل الغنائي فيها ، وقد كان جديداً على الأذان بعد
 عهد امية البعيد .

ضف الادب المسرحي عندنا

ولي رأي فيما يؤلف عندنا من المسرحيات اود ألا تفوتني
 الفرصة هنا لكي أبدية . فلم يبلغ هذا الفن عندنا محلاً موقفاً بعد
 على كثرة الاقلام التي عاجته نثراً وقلتها شعراً . فما يعالج منها
 طابعه قصصي لا غير . وذلك لأن الذاتية مستحوزة على مشاعر
 كتابها قاطبة . فكاننا نحيل لهؤلاء جميعاً من ناحية واحدة ، هي
 الفردية ، ان الناس حولنا سواسية كأسنان المشط لا تفرقهم في
 البواطن هذه العوالم النفسية التي تجعل كل فرد منا عالماً في ذاته .
 كما جلا حقيقتها علماء النفس المتأخرون . وهم من الناحية الثانية ،
 ناحية قوميتهم ، يلزمون كل فرد في ظاهر امره بأن يصبح أنموذجاً
 لسواه ويلتزمون في الخيال تحقيقه لأنفسهم ثم يتوقعون في الغيب

نتائج . وان رأوا بأمر العين امام المحن ان مجتمعنا في حيرته
وتخبطه لا يصدق عليه هذا الوصف كما صدق مرة عندما كان يطبق
كل جاهلي بالفعل في مجتمعة البدوي الصغير نظراته المثالية المحدودة
التي وسّع مفهومها الاسلام .

وهذا طبعاً لا يساعد على نشوء المسرحية الصحيحة ، كما لم يساعد
على نشوئها في الهند ، لأسباب ضدها تماماً حضاراتها الجاثمة هناك على
الأرواح . لم يكن للهند ضلع في الادب المسرحي لأنها جعلت
امام نفسها هدفاً واحداً لا تحيد عنه قيد شبر هو تحقيق مثلها
الاعلى في «الزفانا» . فلا يجوز لطبقاتها - الا ضمن الحدود التي حددت
لهم - الاهتمام بشؤون هذا العالم «الناقص» ، الذي دأبهم فيه التطلع
الى «الكمال» . ولا لأبنائها ، ماداموا لا يقيمون لهذه الاخلاط من
الناس في حياتهم الارضية وزناً ، تتبع احوالهم بعين العبرة او
الاعتبار . وحيث ينعدم شعور الفرد بالوجودية تنعدم رغبته في
التمثيل الذي هو البذرة الاولى لنشأة المسرحية بمعناها الصحيح .
فهذا يعطل عدم ظهور ادب مسرحي عندنا يشفي الغليل .

الشعر العربي في المهجر

بينما نشأت في المهجر في الفترة التي ذكرنا مدرسة للشعر جديدة
تدعها رابطتان ، قام على رأس الشمالية منها جبران رحمة الله ، اتخذوا
من الفنون الغربية دعائم لنهضتهم واقتبسوا من الشعر العربي نظراته
الانسانية الخاصة ، ومن الفلسفة تجريد الحقائق من ملابسها . فجاؤوا
فيها بروائع كالطلامس لايليا ابو ماضي ورباعيات فرحات . وقد كان

لها تين صدى مدوّ استمرّ طويلاً في العراق، وختف في شعرائه أثره . وكذلك جدّد شعراء المهجر النهج البالي بتجارب في القريض والقوافي كانت بمثابة بشائر لموكب الشعر الحديث . وعاش جبران على تغفل روح الشاعرية في ادبه المنشور أقلّهم في النظم حظاً واكثرهم به عثرات .

مدرسة ابولو

ولا ننس مدرسة أبولو فقد حملت مشعلاً انتفع به الشباب كثيراً في مصر وغير مصر . فقد أنارت لهم الطريق السوي بالنقد المذهب والنظرة الفاحصة حتى استكمل كثير منهم اداته فيها . ومن بين هؤلاء ابو القاسم الشابي الذي جدّد الشعر في المغرب بأحلام الشباب . وكان المشرف على هذه المدرسة الدكتور ابو شادي الشاعر العالم الذي يشهد له اصحابه بالوفاء ومثالية في حب الوطن عالية ظهر عملها في شعره ولكنه على الرغم مما استحدثته مدرسته من مذاهب بين مريديها ظل نثري الاسلوب يطفئ عليه الطابع العالمي ، فلم أقع له على رائعة بالمعنى الفني الصحيح على كثرة منظومه الا قطعة واحدة صغيرة بعنوان « النجوم » لعله من الخير ان انشدكم ايّاها وهي بعد تحتاج الى رتوش :

بُعُثِرَتْ في السَّاءِ حَتَّى تَرَاءَى	خالق الكون مُسْرِفاً في نظامِهِ
حاكَّتِ الضَّائِعَاتِ مِنْ مُهِيجِ الحُلَا	ق ، فَكُلُّ بَشْعَلَةٍ مِنْ غَرَامِهِ
وَتَرَاءَتْ حِيناً لَنَا قُبُلَاتٍ	مِنْ فَمِ الدَّهْرِ فِي عَصُورِ ابْتِسَامِهِ
ثُمَّ حِيناً تَلُوحُ مِثْلَ ثُقُوبٍ	خَلَقَهَا الْغَيْبُ رَابِضٌ فِي غَمَامِهِ

ينفذُ الشاعرُ العظيمُ إليها حينَ يخشى القضاءُ بأسَ اقْتِحامِهِ
 فاذا عادَ بعدَ اسرائه الكا شِف، أعْيى الأنامَ مغزَى كلامِهِ
 فهي كما ترون تحتفلُ بمعنى بكررٍ يفتن الألبابَ بسجهره. ولكن
 هذه العبارات « حاكت الضائعات ... » و « تراءت حيناً لنا . »
 و « ثم حيناً تلوح ... » الا ترونها عادية تكاد تقضي على الروح
 الشعرية فيها . فهذا التقصير في البيان و كأنما هو يترجم في لغته
 نقلاً لا انه يشعر فيها أصلاً لا يرضاه الأدب لمؤسس مدرسة
 حديثة مثله . وقد استشهدت بالقطعة لأن أكثر عيوب شعرائنا
 الأحداث اليوم نثرية من هذا الطراز . وكم وددت لو كانت
 على الصورة التالية :

بُعْثُوتُ في السماءِ حتى تراءى خالقُ الكونِ مُسْرِفاً في نظامِهِ
 أهي كالضائعاتِ من مُهْجِ الخلدِ قى ، فكل بشعةٍ من غرامِهِ
 ام تَراها بسرِّها قِبَلاتٍ من فمِ الدهرِ في عصورِ ابتسامِهِ
 جلَّ مَنْ نَقَبَ السَّارَ ثُقُوباً خَلَفَها الغيبُ رابضٌ في غمامِهِ
 ينفذُ الشاعرُ العظيمُ إليها فيهابُ القضاءُ بأسَ اقْتِحامِهِ
 فاذا عادَ بعدَ اسرائه الكا شِف، أعْيى الأنامَ مغزَى كلامِهِ
 وآسف ألا يحتفظ الادب العربي لاني سادي بشيء ينصف
 هذا الاندفاع الانساني فيه غير ذكرى اباديه البيضاء على سواه .

(١) راجع مقطوعة (My Star) للشاعر الانكليزي Robert Browning

نحن والغرب أخيراً

وهذه المدارس نفسها تؤكد ضمناً ما حاول الغرب تغذيتنا به من مختلف الثقافات في هذه الفترة وما قبلها بقليل . اذ كان لبنان منذ عهد باكر مرآة الثقافة الفرنسية بأجلى صورة . يتتبع تطور احوالها بعين بصيرة وقلب واع . وكان من نوابغ بنيه الياس ابو شبكه وفوزي المعلوف الذي سجل في قصيدة واحدة اسمى منزلة يبلغها الابداع تلك هي « على بساط الريح » . واخوة له آخرون يحتلون في الشعر منزلة مرموقة . ولا زال شعراء لبنان كسعيد عقل وصلاح اللبكي وامين نخله يتمتعون بثار هذه الثقافة الى اليوم . بينما ظلت الشام معقلاً للأحرار من العرب محتفظة بطابع عروبتها تغذّيها وتتأثر بها . فكان نتاج شعرائها في القومية محموم الأنفاس ملتهب الشعور كما نلّس اثره عند عمر ابو ريشة مثلاً الذي نشأ في مدرسة شوقي ثم استبعد لنفسه مذهباً . ولم يختلف الحال في العراق كثيراً فقد ظلّ متمسكاً بأهدافه القومية ومضى يعلن عنها على ألسن المتقدين حماساً من شعرائه لكل مناسبة تجدد . وكانت الجواهرى زعيمهم الذي لا يجارى في هذا الميدان . بينما ظلّت دصر تناوى الانكليز في السياسة وتصافحهم في الأدب حتى نبغ علي محمود طه بثقافته التي تغلب عليها الصبغة الانكليزية وكان علماً من الاعلام في الشعر العربي الحديث . ولم تقدم فلسطين في محنتها شعراء يحسنون كمثّل ابراهيم طوقان .

فذلك ما كان عليه الحال في الفترة ما بين الحربين .

ثم لم يزل اتصال العالم العربي بالغرب يزداد قوة وشعوره
بضعفه ينمو حتى بلغ أشده خلال الحرب العالمية الثانية فما تلاها .
فظهرت بوادر الانقلاب الحديث في الشعر باعلان الشباب ثورته
على شيوخه الذين اهتمهم في كل ميدان بالتقصير والجود وفي الشعر
خاصة بالاجترار . وذلك بعد ان وضعت الحرب أوزارها .

الفصل الثالث

قِصَّةُ الشَّعْرِ الْيَوْمَ

وبعد فهذه هي الاطوار التي مرَّ بها شعرنا العربي منذ رضي
اهل الجاهلية لأنفسهم مهجة الخطابة والظهور بمظهرها في المحافل
والاسواق . وتلك هي قصيته مبسوطة حتى أمس القريب . أما
ما هي قصيته اليوم فيمكن عرضها في ضوء العوامل الآتية :
(١) المؤثرات التي توجهه هذه الوجهة (٢) الاسماع التي ينظم
لها (٣) الاحوال التي ينظم فيها (٤) القوالب التي تسبك لصوغه
(٥) الشئون التي هي موضع اهتمامه . ولنستعرض منها باختصار .

١ - المؤثرات التي توجهه هذه الوجهة

فأما المؤثرات فهي داخلية وخارجية معاً . ولقد مر بكم ما
داخل الشعر العربي من اطوار . فلم يكن بد ان تختلف بعض
✓ سماتها في الشعر والشعراء . ففي العراق مثلاً لا زال بعض شيوخه

يغرفون من معين السيد حيدر الحلي ومن جاء بعده في عصور
 الانحطاط . فيعقدون عليه خناصرهم ويستمدون منه مادة لثقافتهم
 الادبية . وتقوم اسواقهم بالمرائي والمدائح كههد آبائهم بها في
 تلك الايام . فلا عجب ان يتشكر الشباب لهذا الغذاء البائت الذي
 خلت عصوره والشيوخ يبدئون فيه ويعيدون في غفلة من الايام .
 وأما الخارجية فان هذه الثقافات العديدة التي غذانا الغرب بها ✓
 من فرنسية وانكليزية وغيرهما والتي اتسعت شعباً فلم تزد مع
 الايام الا قوة واستفحالا أخذت تتفاعل في نفوس الشباب الآن
 وتؤدي اكلها في تجاربها الجديدة . ثم ان الغرب نفسه لم يقف به
 تاريخه المتطور عند مذهب فني واحد من مذاهبه الشهيرة . ولو
 فعل لحكم على فنه بالاعدام . فكان منه هذا التنقل من العهد
 الكلاسيكي في الشعر فالرومانسي الى ما استحدثه البرناسيون
 والرمزيون ، في محاولة مستمرة مع التاريخ لابتداع طريقة جديدة
 يفرض بها الشاعر على العصر نفسه ويثبت وجوده . فما كان بد ان
 ان ينعكس ظل كل هذا في شعرنا الجديد المتأثر بهذا كله .
 جاء في مقدمة ديوان « شظايا ورماد » للشاعرة نازك الملائكة
 (المتأثرة منذ ذلك الطور بروح ادغر آلن بو الشاعر الاميريكي
 والمقتفية اثره في اسلوب البيان) الذي نشرته عام ١٩٤٩ فكان
 بمثابة صوت الناقوس يدق للثورة :

« وقد يفيدنا ان نتذكر دائماً ان التطور الذي يحدث في
 الفنون والآداب في عصر ما ، اكثر ما يكون فاشئاً عن التقاء
 أمتين او اكثر . فقد يحدث ان امة معينة تحمد قابلياتها وتركز

قروناً كاملة بتأثير عوامل خاصة . ثم يأتي عليها زمن متوثب
يوقظها فتتململ وتتحرك ... »

وتقول الشاعرة الآن بعد مضي قرابة خمس سنوات على كتابة
هذه المقدمة ١ هو عمر في تاريخ الثورات جد قصير :

« يظهر ان الحركة بدأت تبتعد عن غاياتها المفروضة ولا نظن
هذا غريباً ولا داعياً للتشاؤم . فلو درسنا الحركة من وجهتها
التاريخية لوجدناها لا تختلف عن اية حركة للتححرر وطنية كانت او
اجتماعية او ادبية . وفي التواريخ مئات الشواهد على ثورة الجماعات
ومباغتتها في تطبيق مبادئ الثورة وسقوطها في الفوضى والابتدال
قبل استقرارها الاخير . ولهذا نحس بالاطمئنان الى سلامة الحركة .
وغم مظاهر الرخاوة التي تلوح بوادرها اليوم . ومع ان التذبذب
سنتهي اليه الحركة لا يمكن ان يكون قاطعاً ، الا اننا نحس انها
سنتقدم في السنين القادمة حتى تبلغ نهايتها المبتدلة . فهي اليوم في
اتساع سريع صاعق . ولا احد مسؤول عن ان شعراء نوري المواهب
ضحيي الثقافة سيكتبون شعراً غثاً بهذه الاوزان الحرة . فليس
على الشعر العربي خوف من هذا . ولا بد ان ينتهي التطرف الى
اتزان رصين بعد انصرام سنوات التجربة . اما الشعراء الذين
سيذهبون ضحايا - ولا بد لكل حركة ناجحة من ضحايا - فحسبنا
انهم هم الذين سينفذون الشعر من الهاوية ، حين يكونون نماذج
للرداءة والتخبط وفقدان الشخصية . انهم خلاص الشعر الحديث

(١) في بحث لها نشرته الاديبة بعنوان « حركة الشعر الحر في العراق »

دون ان يعلموا. وهذه هي طبيعة الانقلابات الهامة في التاريخ .
وقد كان الحكم عادلاً. ولكنني أخشى ان الآنسة كانت متفائلة
جداً ففضية الشعر ليست بقضية اليوم وان كانت تلك هي المؤثرات
التي وجهته اخيراً هذه الوجهة الجديدة .

٢ - الاسماع التي ينظم لها

واما الاسماع التي ينظم لها وهي « الذات » الثانية التي نوهناها
في كل اثر شعري فليست بطبيعة الحال على شاكلة واحدة حسب
انتخاب الشاعر لها . فهي في الاغلب اسماع جمهور محتشد يستمع
في شاعره الى خطيب مفوه كشعر الجواهري والشاعر القروي
وعمر ابوريشة وبشارة الخوري وبدوي الجبل . وهي احياناً
اسماع زملاء واخوان يتلطف معهم الشاعر ويسامرهم بمحدثه
فيأنسون فيه اخاً لهم وزميلاً كشعر علي محمود طه وايليا ابوماضي
والياس فرحات واحمد الصافي وجورج صيدح ونازك الملائكة
خاصة في نظمها الاخير . وهم بعض الاحيان اقرب الى الشاعر
روحاً وامس علاقة فيبثهم ذات نفسه ويرتل لهم اناشيده بصوت
رقيق كشعر نزار قباني والياس ابو شبكة والحومايني وفدوى
طوقان ونازك الملائكة في « عاشقة الليل » . وهم في القلة مسموع
الشاعر نفسه اذ تنطوي ذاته على نفسها وتضيخ الى نجواها للباطنة
بعيدة عن الناس كشعر سعيد عقل وصلاح الاسير وبشر فارس
وبديع حقي والحيدرين وامثالهم .
فهم هؤلاء جميعاً - في تنوع خانهم - كالطيور التي تنشأ في

مناطقها من الأرض وتقلب في اجوائها الخاصة من السماء من أليفة كالغندليب أو الطاووس الى جوارح كالنسر والشاهين . اذا قدرنا لبعضها سمو التحليق او التنقل الدائم او تعذر الانتقال . او هم كالأزهار التي تختص بكل زهرة تربتها على وجه الأرض في الشكل واللون والرائحة اذا استثنينا عملية تخصيب التربة واللقاح . فلعل هذا يلقي ضوءاً جديداً على قول ارسطو الشهير: الشعر اصدق حساً واعم في الحقائق مجالاً من التاريخ

٣ - الاحوال التي ينظم فيها

واما الاحوال التي ينظم فيها فهي في مرد امرها اولا اجتماعية . وهي تختلف في بقعة عن اخرى في عالمنا العربي . فالعراق غير السودان ومصر غير الجزيرة ولبنان غير اليمن وتونس غير الخليج وان جمعها جميعاً قول فؤاد الخطيب « الى جزيرة العرب » :

لبيك يا ارض الجزيرة او اسمعي ما سئلت من شجوي ومن انشادي
انا لا افرق بين اهلك ، انهم اهلي . وانت بلادهم وبلادي
ولقد برئت اليك من وطنية سلاء تؤثر موطن الميلاذ
فلكل ربع من ربوعك حرمة وهوئ تغفل في صميم فؤادي

فأجاب عليها خليل مردم « جهد المقل » :

انا ما حييت فقد وقفت لأمتي نفسي ومالي في سبيل بلادي
فاذا قتلت ، وتلك اقصى غاية لي ، فالوديعة عندها اولادي
بنت لتضميد الجراح ، ويافع يعني بتثقيف القفا المياد
حتى اذا بلغ الأشد ، رأت به ذخراً ليوم كريمة وجلاد

وعقب عليها فوزي المعلوف في «وداع لبنان» :

مهما يجرُ وطني عليّ واهله فالأهلُ أهلي ، والبلادُ بلادي
أرثي لبؤسهم ، فأندبُ حالهم بفمي ، وأرثي حظهم بمدادي
همُ ضيعوا الرثَ الجدودَ ، فنا لهم غضبُ الجدودِ ، ولعنةُ الأولادِ
قسماً بأهلي لم أفرق عن رضى أهلي ، وهم ذوخري وركن عمادي
لكن أنفتُ بأن أعيش بوطني عبداً... وكنتُ به من الأسيادِ
بحيث تصوّر كل بقعة امكانيات أهلها الأدبية وما اكتسبته

هذه الامكانيات من الوان وظلالها الدقيقة في تاريخهم الخاص الذي
يسهم من قريب واتجاههم الثقافي في حاضر هذا التاريخ . فقي
النحيف مثلاً لانستغرب اذا انعقدت مسامراتهم ١ فرأينا بعضهم
يقترح على الحاضرين بأن يجيزوا قول القائل :

ما خابَ من أمّ جواداً ، فهل
فينعكف كل في ركنه من المجلس يردد صداها في نفسه .
ثم يعرضون على المقترح نتيجة ما نظموه مكتوباً في قصاصة من
ورق . فأذا هي ... أتعلمون ماذا ... هي اشتراكهم جميعاً في
التهجين :

ما خابَ من أمّ جواداً ، فهل يجيبُ من أمّ «جوادين» !
واظنكم لاتفوتكم دلالة التورية في الكلمة الاخيرة «جوادين»
من الوجهتين اللغوية والتاريخية على محيط القوم .

ولكن وراء الاحوال الاجتماعية السائدة هناك ثانياً احوال
لشعر ائنا نفسية ترجّ بهم على مسرح الحياة ، يتمثل الشاعر فيه دوراً

(١) راجع «الهاتف» عدد ١٢٩٠ و ١٢٩٢ لعام ١٩٥٤ .

من الادوار مرّ ببلاده في احد ابنائها الماضين او أعد له حاضرها
الثقافي لباسه فيضالع به امام النظارة تحت تأثير العاملين من
الواقعية والمثالية معاً على اختلاف في القدر بينهما - سبق ان
بيناه - منطوياً تحت افق نفسه او منطلقاً وراء آفاق الناس .
ابداعاً في القلة المختارة من شعرائنا وتقليداً محضاً في الجمهرة .
فهذا هو منشأ ما نرى من نماذج شعرية مختلفة اشد الاختلاف
في شعرنا الحاضر من ميدان الخطابة في غمرة الانوار ... مارة
باشتات الادوار ... الى كهوف الرمزية في الظلام .

٤ - القوالب التي تسبك لصوغه

واما القوالب التي تسبك لصوغه فجديدة ... ولا كل الجدة .
فلو كان قس بن ساعدة بيننا اليوم لاعتبر نفسه من المجددين بآية
قوله المأثور :

ليلٌ داجٌ
وسماءٌ ذاتُ ابراجٍ
وارضٌ ذاتُ امواجٍ
ما لي ارى الناسَ يذهبونَ
ولا يرجعونَ
أَرْضُوا بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا
أَمْ تَرَكُوا هُنَاكَ فَنَامُوا ؟

فالاصل في الفكرة كان معمولاً به حتى في الجاهلية في نطاق الخطابة
الضيق ولما توسيع تطبيقها اليوم في الشعر هو جديد . واعتقد

ان الثورة على قوالب الشعر القديمة اول الامر كان الدافع عليها
نفس الاسباب التي جعلت الجاهلي يصيح :
ما ارانا نقول الا مُعَاراً او مُعَاداً من قولنا مكرورا
ولكن في ظروف غير ظرفه . وجعلت الاندلسيين ينظمون
الموشحات وشعراء عصور الانحطاط « بنودهم » . ولكنني اخشى
ان تعود صيحة الجاهلي بعد اليوم اكثر انطباقا على هذا الغث الذي
يتعجله بعضهم فراراً من عمود الشعر القديم .
صرح البياتي ١ وهو من خيرة هؤلاء في حديث له
قبل أيام :

« منذ عام ١٩٤٩ بدأ اتجاهي الجديد . وكان انتقالي من
المرحلة السابقة مصحوباً بتجارب عنيفة تعرضت لها . وليس في يدي
الا شعوري بضرورة وضع حد للمهزلة التي لم تنج منها غالبية
الشعراء العرب الا وهي الجري وراء القوافي والاستهانة بالقيم
الجماعية وبألم الشعب الذي ينتظر من ادبائه ومفكريه ان يلتفتوا
اليه ... ولدي الآن كثير من القصائد التي كتبتها منذ عام ١٩٥٠
الى يومنا هذا . وهي لم تنشر بعد في كتاب . واني متروك الآن
في نشرها لأنني اشعر بأنني قد تطورت تطورا جديدا خلال هذه
السنوات الاربع ... »

لقد كان هذا الانقلاب لثلاثة امور . فقد وجد المثقفون منا
ان هناك شعراً عند سائر الامم لا يقل روعة عن هذا الذي يستعمله
ويستظهره العرب . وان بعض هذه الامم لا تملك من ناصية

(١) مجلة الاديب عدد مارس ١٩٥٤ - جولة الاديب في شهر .

قوافيها غير بضع قوافٍ من ثلاث في الاغلب الاعم الى عشر على
 اكبر تقدير كالامة الانكليزية . ومع هذا فهي تتفوق في الشعر
 وتجيد فنونه . وقد تم لها ذلك بالمناوحة بين هذه القوافي المحدودة
 والتلاعب في عدد تفاعيلها على اشكال . وان بعض هذه الامم ^٢ ✓
 لا اعتبار عندها للقفية مطلقا في بعض آثارها كاليابان ولها ايضاً
 شعر جميل بفضل هذا الذي يسمونه جناساً نجاس به في القوالب
 بين الفاظها سواء أكانت المزوجة في اواخر الكلام كما نأخذ به او
 في اوائها كما هم يفعلون . وان امماً ثالثة لا تقيم من التفاعيل شيئاً ✓
 في الكثير كالصين . وهي بعد تجيد الشعر على طريقته في البيان
 وتعول في اظهار روعته في الكلام على المقابلة بين مترادفات
 المعاني او على ما يعرفه البديعيون عندنا بالطباق كما نجد ايضاً في
 شعر التوراة . فهذا ما وجدته المثقفون من الشعراء .

١ اما سائرنا فقد ارتأى ان اللغة العربية قد استنفدت في هذا
 القول المكرر المعاد جهد امكانياتها في القوالب المطروقة . فلم تبق
 قافية قصدوا استعمالها لم يبلها الشعراء نظماً واستعمالاً في المعنى
 نفسه اكثر من الف سنة ولا وزن لم يعارض فيه من سبقهم الذي
 سبقه الف مرة . وارتأوا ايضاً وهم على حق ان قوالبنا
 القديمة جعلت للقول ليسم اهل في ميدانهم الخطابي . وكان بعضهم
 بنجوة عن هذا الميدان فكان صعباً عليهم في حدود هذه القوالب
 ان يعبروا عن ذوات انفسهم بالحرية الغيمية اللازمة . وان يتعاشوا
 عقابيلها الا بتضحية فنية كبيرة . وربما فات هؤلاء ان هذه
 الصعوبة لا يشكوها غير المقلدين في كل زمان . اما المبدعون

فيشقون لهم طريقاً بمنّا كبهم القوية في الزحام على هدي بصيرتهم
التيرة . ثم انهم كانوا يعلمون بأن الشعر العربي عاش قصير الأنفاس
لا يقوى على الملاحم الشعرية وكان المسئول عندهم هي القافية .

وقامت بيننا فئة ثالثة هي التي كانت اجنبية الثقافة غريبة
التفكير فهذه لم تحسن العربية أبداً ولا كانت تستطيعه لو ارادت .
فكان امر التفاعيل والأوزان عندها طليماً لا تقوى على فكّ اقفاله .

فارتضت لنفسها ان تسيروا على ما عرفت من الشعر الاجنبي تستوحي
ظلاله مطلقة من كل قيد ولكن في الفاظ عربية . وفات هذه
الفئة ان الالفاظ لا تنقف دلالتها اللغوية على قيمتها الزجاجة
اللامعة وانما وراءها في المرأة تاريخ بشر . وان لقوا البها في الوقت
عينه قيمة اخرى اعظم يخلقها الشعراء باستيعاد روح الامة في
تاريخها الادبي فتقبله اللغة قريبة العين . فهذه القوالب لا يمكن
نقلها من لغة الى لغة الا بتضحية كبيرة من روحها الخاص في
النقل والترجمة .

وجاء المقلدون الذين لا يحسنون ثقافة او لغة اجنبية او ادباً
وراء الفئات الثلاث فرأوا امامهم شيئاً جديداً ينادى به سهل
التناول عظيم الارباح . فرفعوا عقيرتهم بالخلاف ... وهم أعجز ...
حجاً في الظهور وحده . ومضوا يشترون البضاعة ويبيعونها في
الاسواق بكل صفاقة .
فكانت التجربة .

وانما لم تتحقق التجربة على هذا الوجه كل هذه القرون لأن
الشعراء كانوا يتخذون الشعر الجاهلي مثلهم الاعلى في الصياغة تهيباً

لمقامه ، وكان عموده قائماً على هذه البحور الستة عشر بتفاعيلها التي
كان الحليل - نابغة العرب بحق - جد موفق في استقرائهما من
منظوم كلامهم . فما شذ عنها كان عند العرب من النادر الذي لا
يعبأ به اذ كان لا يوافق طبيعة ترسلهم في البيان .

فاذا جاوزنا ما يسمونه بالشعر الطلق او المرسل الذي يرسل
نفسه ارسالاً غير متقيد بقافية كصنع هذه المدرسة التي ترعاها مجلة
الاديب وما ينظمه بين الفينة والفينة صاحبها الاستاذ البير (٤٧)
ومن هذا حذوه كثيراً ملخص في نشيدها التائه . وهم قد فعلوه
على غرار بعض ما استظهروه من صور الشعر الاجنبي مترجماً في
فقراته المرسل . وجدنا التجربة تبدأ أولاً في القوافي .

فقد كان من اوائل التجارب في سبيل التحرر من القيود :

- ✓ ١ - تنويع القوافي في ابيات القصيدة الواحدة بيتين بيتين ،
ومن امثلته : « النهر المتجمد » (٢٣) لميخائيل نعيمة و « اوهام
في الزيتون » لفدوى طوقان و « شجرة القمر » لنازك الملائكة .
- ✓ ٢ - تنويع القوافي بالمناوحة بينها في كل عقد يؤلف من ثلاثة
ابيات فأكثر على اشكال في قصيدة ذات عقود متشابهة النغم .
ومن امثلته « أفاق القلب » و « لو تدرك الاشواك » (٢٤) لميخائيل
نعيمة ، و « الطلام » (٢٥) و « تعالي » (٢٦) لايليا ابو ماضي
و « في ظل وادي الموت » (٢٧) للشابي و « في فمي لحن » (٢٨)
لأبجد الطرابلسي و « في مصر » و « انا وحدي مع الليل » (٢٩)
و « الى صورة » لفدوى طوقان و « الزهرة السوداء » (٣٠)
لنازك الملائكة .

٣ - تنوع القوافي في قصيدة طويلة ذات مقطوعات لكل مقطوعة قافيتها . ومن امثلته «على بساط الريح» لفوزي المعلوف و «ارواح واشباح» لعلي محمود طه و «سكران وسكري» (٣١) لحليل مردم و «جان دارك» (٣٢) «لعمر ابو ريشة» و «يانفس» لنسيب عريضة و «الاشواق النائمة» (٣٣) للشابي و «ديوان شعر» (٣٤) للسياب و «انا وابني» (٣٥) لايليا ابو ماضي و «اغنية الحياة» (٣٦) لنازك الملائكة .

٤ - وتلحق بهذه الاخيرة تغيير اوزان في قصيدة طويلة بين مقطوعات لا تتشابه شكلاً اثناء تنوع قوافيها . ومن امثلته «الشاعر والملك» لايليا ابو ماضي و «عبر» (٣٧) لسفيق معلوف و «الراعي» لالياس فرحات .

وكل هذه التجارب كانت ناجحة كما يتبين من هذه الامثلة . فتفاعليها قائمة في البيت على شطريه حسب ما قدر لها الحليل . وقد كان نجاحها اكبر دليل على ان القافية هي نقطة الارتكاز الموسيقي في الشعر عند العرب سواء أ جاءت مفردة او متناوذة مع اخواتها^١ . ويجب ألا ننسى ايضاً تجربة قام بها الأقدمون للتحرر من القيود وذلك بالتزام القافية بين شطري البيت الواحد فقط كما فعل العرب في بحر «الرجز» . فجددها شعراؤنا في غير هذا البحر ونجحوا . ومن امثلته «الحب» (٣٨) لرؤف الحوري و «أنت وانا» (٣٩) لأحمد الطرابلسي . بينما التزمها بعضهم بين شطري

(١) راجع استفتاء «الآداب» عدد آب ١٩٥٣ - الشعر العربي بين التقييد والتحرير . (٢٣ - ٤٧) راجع الملحق .

كل بيتين كما فعل مطران في « هل تذكرين » (٤٠) .
ولكن التجربة الحقيقية بدأت - بعد - وكان مجالها التفاعيل
نفسها . وكانت الامكانيات هنا ايضاً واسعة . ففي بعض الاوزان
(وقد حددتها نازك الملائكة - في ضوء ما وقع بستة لا غير)
حاول الشعراء الجدد :

١ - التلاعب في عدد تفاصيل القصيدة الواحدة وهي باقية على
قافيتها كما فعل نزار قباني في « طوق الياسين » (٤١) و « أوعية
الصيد » .

٢ - التلاعب في عدد تفاعيل القصيدة وهي تتنقل بين قوافيها
تنقلاً يسيراً كما فعل نزار في « رسالة الى مبيدة حاقدة »
و « حبلى » (٤٢) .

٣ - التلاعب في عدد التفاعيل في القصيدة الواحدة لها عقود
متشابهة تتناوح فيها القوافي بانتظام كما فعلت نازك الملائكة في
« فلنفترق » وفي « انا » وفي « غسلاً للعار » (٤٣) وبدر شاكر
السياب في « اساطير » ونزار قباني في « سامبا » .

٤ - التلاعب في عدد التفاعيل في القصيدة الواحدة لها عقود
مختلفة تتناوح فيها القوافي على اكثر من وجه . كما فعلت نازك الملائكة
في « الوصول » و « النهر العاشق » (٤٤) وفدوى طوقان في
« العودة » (٤٥) ومحمد مجذوب في « آه لو تنفّع آه » وكاظم
الساوي في « الحرب والسلام » .

٥ - التلاعب في عدد التفاعيل في القصيدة الواحدة لا عقود لها
(١) في مقالها « حركة الشعر الحر في العراق » المشار اليه .

يتناوح فيها القوافي مرصلة اشكالاً كصنع السياب في « حفار
القبور » (٤٦) . وهنا كل التخبُّط ومال السيل . وكان اشبه
شيء صنعاً « بينود » شعراء عصور الانحطاط ١ ، كما جاء في قول
احدهم ، أظنه ابن نباتة ، مثلاً :

أيها الرائحُ يَطْوِي مَهْمَهُ الْبِيدِ

ضَحَى بِالضُمِّ الْقُودِ

رُويْدَاً واصطباراً

كيفَ تَسْطِيعُ بأنْ تَجْنَحَ لِلْسَيْرِ

بِمَا فِيهِ مِنَ الضَّيْرِ

وقد فارقتَ مَنْ في وَجْنَتِهِ يَشْبَهُ الشَّمْسَ

وفي حِمَاهُ يُجِيبِي مَبْتَ الرُّمَسَ

هو اللذةُ لِلخَمْسِ

وأقصى مَنِيَةِ النَفْسِ

غَزَالٌ يَقْقُ الثُّغْرَ

... الخ

فان كان ثمة اختلاف في المضمون فهو ناشئ عن اختلاف وحي

العصرين .

ولا انكر ان بعض هذه التجارب كانت ايضاً ناجحة اذا

اسقطنا من الحساب زيف المقلدين ، ما عدا المحاولة الاخيرة لعيوب

فيها فنية أمت بها تازك الملائكة في مقالها .

وقد بقي مجال وراء هذا تحاشاه الشعراء الجدد حتى الآن ، وهو

(١) راجع ديوان ابن نباتة .

المزاوجة في تفاعيل وزنين يختلفان مجراً . فهل تصدق لهم التجربة فيه ايضاً ، أم يتبين لهم آخر الأمر ان مشكلة الشعر التي يحاولون حلها بالتهرب من اوزان الخليل هي اكبر من هذه القواني والاوزان ؟

اذكر بهذه المناسبة حكاية قرأتها لأحد الزملاء في البحرين ١
بعنوان « طب الناس » ارويها لكم على سبيل التفكهة ، قال :
« عندما قابل عبد الله صديقه احمد الذي كان يشعر بألم مبرح في قدميه اظهر عطفه الشديد على حاله ، وقال له : « لقد كنت أعاني نفس هذا الألم بالضبط منذ خمس سنوات . غير انني بادرت بخلع اسناني فاسترحت من الألم مباشرة . ولهذا اقترح عليك ان تخلع اسنانك أنت ايضاً ... »

وفكر احمد في الأمر طويلاً . ثم ذهب الى الطبيب فخلع اسنانه ... ومرت اسابيع بعد ذلك .. ولكنه كان ما يزال يعاني ... أشد الألم . وقابله بعد ذلك صديق ثان وهو ما يزال يعرج في مشيه . فبادره بقوله : « لقد عانيت انا نفس الألم الذي تعانيه انت الآن ، ولكنني شفيت تماماً بعد ان استأصلت « الزائدة الدودية » انني اقترح عليك ذلك .. لتستريح » . وذهب احمد الى الطبيب بعد ان فكر طويلاً . فاستأصل « الزائدة الدودية » ومع ذلك بقي كما كان يعاني نفس الألم في قدميه .

ومضت شهور قبل ان يلتقي احمد بصديقه الاول عبد الله مرة ثانية . فلم يكده الاخير يراه سليماً معافى حتى قال له « رأيت ؟

(١) جريدة القافلة عدد ٣٠ السنة الثانية « ٥/٤٣/٥ »

هذه هي نتيجة نصيحتي اليك .. التخلّص من الألم . فلو لم تخلع
 اسنانك لظالت تتألم من قدمك حتى الآن .. » ولكن احمد قال
 في مراة : « .. ابدأ ! .. قد خلعت اسناني بناء على نصيحتك ولم
 يزل الألم ، ثم استأصلت « الزائدة الدودية » كما نصحتني صديق
 ثان . ولم يزل ايضاً . ثم زال الألم اخيراً » . فهتف الصديق
 في فضول ودهشة : « اذن كيف زال الألم ؟ »
 فقال احمد في هدوء : « لقد خلعت المسمار الذي كان في
 حذائي ! »

٥ - الشئون التي هي موضع اهتمامه

واما الشئون التي هي موضع اهتمامه فان مأساة العرب في
 فلسطين ، او بالاحرى مأساة فلسطين في العرب أولاً بأول ، وما
 اعقب هذه المأساة من ضروب المحن وألوان المذلة على اخواننا
 اللاجئين هو الشغل الشاغل اليوم لأقلام الكتاب وعصارة اذهان
 الشعراء .

غير ان الذين دأبوا على الجادة من اصحاب اليمين ظل مسلكهم
 في الحديث عنها والنعي على آثارها كهبدنا باخوان لهم من قبل
 على حاله لم يتطور في اسلوب ولا أداء .. دموع تذرف ...
 وحماس يتقد .. وبرق ورعد كثير .. والنهار يكذبهم ضاحياً
 بشمسه . ولا زال بعضهم من مدائح الملوك ومراثيهم بخير
 والف خير .

واما مظهره عند اصحاب الشمال الذين تنكبوا الجادة فلم يكن

في غير الانزواء بكلية عن اعراض مجتمعهم القلق في كهف موحش
مظلم ، متدلين كالعنكبوت بخيط من دخان فضي يتموج بزرقه
احلامهم حول شبح المرأة بين البوح والكتان . فاذا اطلتوا من
كواهم الصغيرة نحو عين الشمس تلاشى صنع الدخان في ألق النهار .
قال الاستاذ مارون عبود في تعليقه على قصائد بعض هؤلاء ١ :
« هذا الشعر الجديد المنمق الناعم جل كلماته من تلك اللفظات
المنتقاة التي تدور على ألسنة اقلام شعرائنا الشباب وصوره ومجازاته
من البضاعة عينها .. فالازميل تعب والحجر انهد والمرمر ذوى
وسكن من غلظة الطين الفكر . كما خشينا نحن ان يضمحل الفكر
ويذوى الشعر اذا ظل هكذا زهراً بلا ثمر .. هذا النعت لا يقام
منه تراث يبقى .. انا احب هذا الشعر الصافي ولكن محبتي له تنتهي
فور انتهاء انشاده .. واصحابها أتباع هذه المدرسة يقولون ان فيها
من الاجزاء ما لا يفهمه الا الراسخون في العلم » .

فهل يسمح لي استاذنا الكبير بأن اقول له ان دعوى اتباع
هذه المدرسة صحيحة . فان هذا الاجزاء الذي يشيرون اليه مصدره
لغة غير لغتنا ، وشعر لم يحفل به تاريخ ادبنا ، وانما كان نقلاً واقتباساً
من آداب قوم آخرين . فاذا كان هؤلاء محمداً فهي ان بعضنا بعد
تصفح ما ينتجون اذا رجع الى مألوف ما ألفه افتقد ايضاً فيه شيئاً
لا يدري ماهو ، كان لا يحس من قبل بفقدانه .

ويقف الشباب المتعثر بموهبته على مفترق الطرق بينها أشد
تأثراً بوعيه واكثر تفجعاً لما هو جار حوله على اختلاف في المواهب

(١) مجلة الشرق الادنى عدد ١٠١ - ١٦/٣/٥٤ .

بين هذا وذاك . كالبياتي ومحمود الحوت وابو سلمى وسليم حيدر
وسليمان العيسى وميمر صنبر والسيّاب وعدنان الراوي وكاظم
جواد ومعين بسيسو وعشرات غيرهم . ولسان حال الجميع هو ما
أنشده هذا الأخير :

انا المقيّدُ لكنني سأنطلقُ

وأتركُ السجنَ خلفي وهو يحترقُ

وأخلعُ الكفنَ الدامي، وقد رشّعتُ

خيوطه بدمائي، وهي تنبتُ

فالاختلاف بينهم هو الاختلاف في الديباجة بين « طاغية »

علي الحلّيّ و « عبيد » البير اديب .

ووراء هؤلاء عدد - كما رأينا - حائز . ما همّهم موضوع

بتاتا . لأنهم ماضون في كل تجربة جديدة لا تحمل غير طابع العجالة .

فلا يمكن - والحالة هذه - ان تسفر تجاربهم عن نتيجة مافرة

او ثمر باق . وإنما هي نزوات تتجسّر يحاولون عبثا إحالتها الى

تمائيل كنتلك التي يحلمون بها قائمة في رومة او باريس .

فتلك شئوننا التي تشغل اليوم أذهان الشعراء .

القيم في الشعر العربي الحديث ...

اما القيم التي تجذب في شعرنا الحديث عين الناظر اليها من

بعيد فهي (ولا اقصد المفاضلة) ايليا ابو ماضي وعمر ابو ريشه

ومحمد مهدي الجواهري ونزار قباني وبشاره الخوري وسعيد عقل

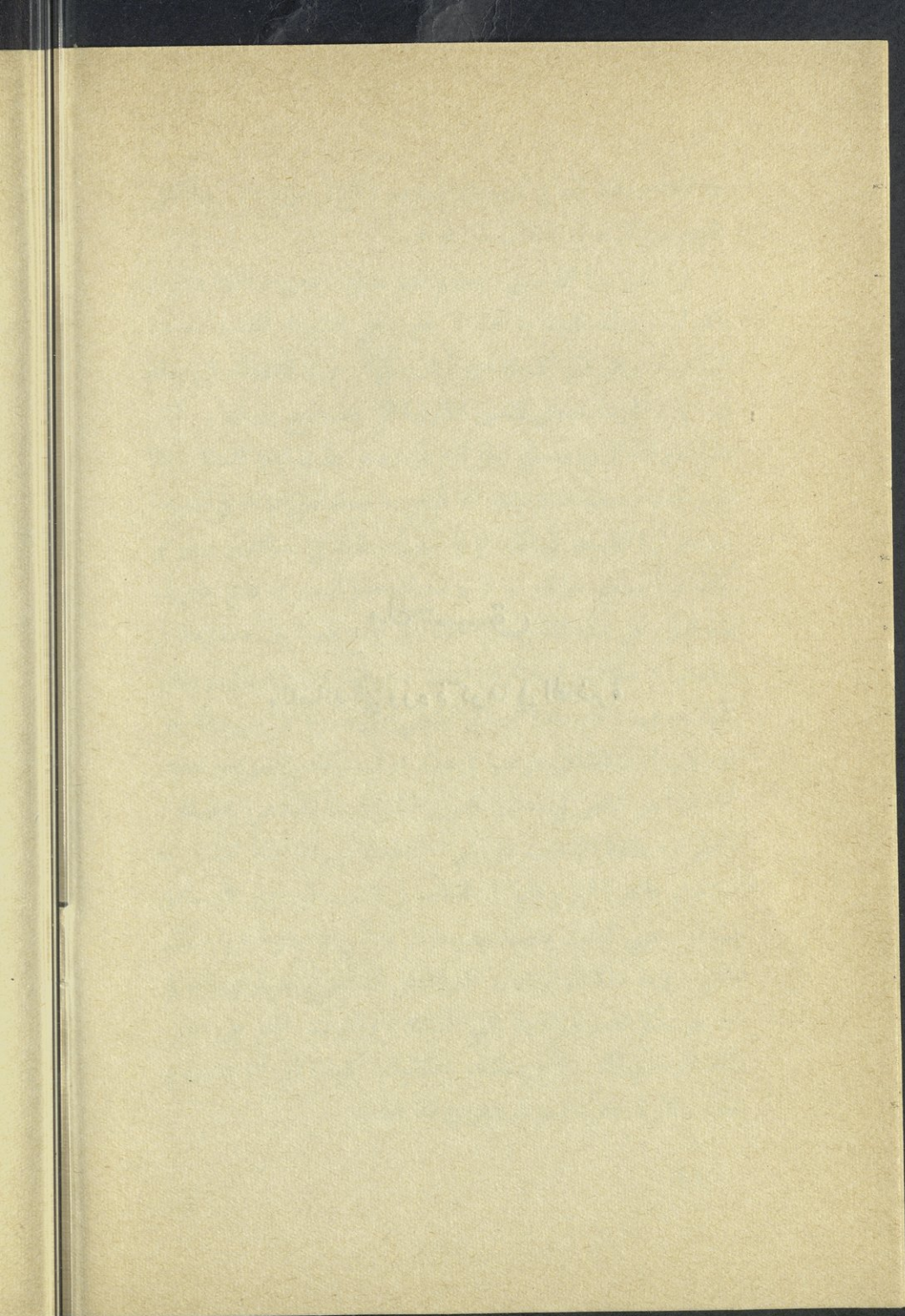
ومحمد علي الحوماني والشاعر القروي وفدوى طوقان ونازك

الملائكة وأحمد الصافي وشفيق المعلوف والياس فرحات . ولكل طابعه من التجديد ، طال بقاؤهم جميعاً .

واخشى هنا ان يسيء بعضهم فهم مدلول معنى « القمة » فأبادر بالقول - وان كانت بداهته لا تحفى على الشعراء انفسهم - بأن الشاعر لا يوفق الى الاجادة في آثاره كلها . وانما القصائد التي يبلغ فيها غاية الجودة تسجل للناس الذروة التي يستطيع بلوغها . كمثل هذا الميزان الذي يسجل الحرارة في رصد طيلة ايام السنة . فلا يقدر العلم لوصف مناخ بقعة الا ارفع ما سجله الميزان لها في الصيف من حرارة الصيف في أشد ايامه حرّاً . فالشاي مثلاً - وهو لو كان حياً لسامق هؤلاء - لا ترفعه الى هذا المستوى الذي يشرف منه اليوم على دنيا الناس من سمائه الا بضع قصائد معدودة في مقدمتها « صلوات في هيا كل الحب » عرفتنا قدره ، ولو لم ينظم شيئاً غيرها . فان هذا الباقي المتبقي من شعره لا ينبىء الا عن محاولات أدت للشاعر غرضها في حينه ، وقيمتها تخضع للتاريخ وحده . هذا هو الشعر في ادبنا العربي الحديث وتلك هي قضيته . واطواره عندنا ان دلت على شيء فانما تدل على ان هذه القضية ان اختلفت ظاهراً اليوم فانها لا تختلف في الباطن عن كل سابق قضايه . فهي ليست بقضية جديدة تلم بالشعر لو نظرنا اليها بمنظار عالمي . وهذه الاطوار تدل كذلك على ان نبوغ العبقرى الفذ في امة هو حكم بخصوبة التربة التي أنبتته ، وبالموت المحتم على حب هذه التربة في آن . لأنه يستنفد امكانياتها كلها ، الى ان يتاح خصب للتربة جديد لنبوغ عبقرى فذ ثان .

ملحق

بالقصائد التي ورد ذكرها في المحاضرة



الشاعر مدفوعاً بالعمل الواقعي في كل
ماله مساس بالصورة التي يحالها لقائه .

لايليا ابو ماضي

١ وطني

وطنَ النجوم !.. أنا هنا حدثق .. أتذكرُ من أنا ؟
الْمَحْتِ في الماضي البعيد فتىً غريباً أرعنا
جدلانَ يرحُ في حقو لك كالنسيم مُدندنا
المُقتنى المملوكُ مد عبهُ ، وغيرُ المقتنى
يتسلقُ الأشجارَ لا ضجراً يُحسُّ ولا ونى
ويعود بالأغصانِ يه رجا سيوفاً أو قنا
ويخوضُ في وحلِ الشتاء مهلاًلاً مُتميماً
لا يتقي شرَّ العيونِ ولا يخافُ الألسنة
ولكم تشيطنَ ، كي يدورَ القولُ عنه : تشيطننا !

انا ذلك الولد الذي دُنيه ' كانت هاهنا
انا في مياهِك قطرةً فاضتْ جداولَ من سنى

انا من تَرايِكَ ذَرَّةٌ ما جتْ مواكِبَ من مَنى
انا من طَيوركِ بلبِلٌ غَنى بِمَجْدِكَ فَاغْتَنى
حَمَلَ الطَلاقَةَ والبِشا شَةَ من رُبوعِكَ لِمَدَنى

كم عانقتْ رُوحى رباكِ وَصَفَّقَتْ فى المُنحَنِ
لِلبحرِ يَنشرُهُ بَنوَكِ حُضارةً وَقَدُّنا
لِللِيلِ فِيكِ مَصلِياً لِلصُبحِ فِيكِ مَوَدِّنا
لِلشَمسِ تُبْطِئُ فى وِداغِ ذُراكِ كى لا تَحزِننا
لِلبدرِ فى نِيسانَ يَكُ حَلُ بالضِياءِ الأَعيُننا
فَيَذوبُ فى حَدَقِ المَهِى سَحرًا لَطيفًا لِيننا
لِلحَقْلِ يَرتَجِلُ الرَوا نَع زَنبَقًا او سَوسِنا
لِلعُشبِ أَثقالَهُ النَدى لِلغُصنِ أَثقالَهُ الجَوى

عاشَ الجِمالُ مَشَرَّداً فى الأَرضِ يَنشدُ مَسكِننا
حَتى اَنكَشَفَتْ لَه فَالُ قى رَحلَه وَتوطَّننا
وَاسْتَعرضَ الفَنُ الجِمالُ فَكُنْتَ أَنْتَ الأَحسَننا

« الى ذات الغلالة الرقيقة ،
النائمة تحت نافذتها
المفتوحة ، في لبالي الصيف
المقمرة . »

إذا ما طافَ بالشُرْفَةِ ضوءَ القمرِ المُضَيّ
ورفَّ عليكِ مثلَ الحلمِ أو اشراقِ المعنى
وأنتِ على فراشِ الطُّهرِ كالزنبقةِ الوَسْنَى
فضمِّي جسمك العاري وصوفي ذلك الحسنَا

أغارُ عليكِ من سابِ كَأَن لُضوءُه لُحْنَا
تدقُّ له قلوبُ الحورِ أشواقاً إذا غَنَى
رفيقُ اللمسِ عرييدُ بكلِّ مَليحةٍ يُعْنَى
جريءٌ .. ان دعاه الشوقُ ان يفتَحَ الحِصْنَ

تحدّرُ من وراءِ الغيمِ حينَ رآكَ واستأنى
ومسَّ الأرضَ في رفقٍ يشقُّ رياضها الغنَا

عجبتُ له .. وما اعجبُ كيف استلم الركنا ؟
وكيف تسور الشوك ؟ وكيف تسلق الغصنا ؟

على خديكِ خمرُ صبايةٍ أفرغها دنيا
رحيق من جنى الفتنة لا ينضبُ او يفنى
وفي يديكِ طلسمات في حللها افتنا
الى كنزهما المعبودِ بات يعالج الردنا

أغارُ .. أغارُ ان قبل هذا الثغرَ او ثنى
ولفَّ النهدي في لينٍ وضمَّ الجسدَ اللدنا
فانَّ لضوئه قلباً وان لسحره جفنا
يصيد الموجهة العذراء من أغوارها وهنا !

وكم من ليلةٍ لمّا دعاهُ الشوقُ واستدنى
جنا الجبار بين يديكِ طفلاً يشتكي الغبنا
أراد .. فلم ينل ثغراً ورام .. فلم يصب حضنا
حوتك ذراعهُ رسماً وانت حويته فنا !

عصيتِ هواهُ فاستنصرى كأنَّ بصره جنتا
مضى بالنظرةِ الرعاء يطوي السهلَ والحزنا
يُثير الليلَ احقاداً وصدراً سحابه ضغنا

وعادَ الطفلُ جباراً يهزُّ صراعه الكونا

فرُدِّي الشُرْفَةَ الجراءَ دونَ الخدعِ الأَمْنَى
وُصوني الحسنَ من ثورة هذا العاشقِ المُنْضَى
مخافةً ان يَظنَّ الناسُ في مخدعك الظنّاً
فكم أَفَلَقْتَ من ليلٍ ! وكم من قمرٍ جُنّا !

●

لعبد الحميد السنوسي

٣ اللقاء الاول

هلْ تذكّرِينَ لقاءنا ! لما التقى طرفي وطرفُكَ فالتقى القلبانِ
في ليلةٍ صَحَابَةٍ وضاءَةٍ من كلِّ مُبْتَهَجٍ بها زوجانِ

أقبلتِ مثلَ الفَجْرِ يَفْتُوشُ الدُجَى
فاذا العيونُ جَمِيعُهُنَّ رَوَانِ
تمشينَ مُشْرِقةَ الجبينِ . مِخَاطَةً
بالسحرِ . . في جَمْعٍ من الحِلَالِ

فتَلَقَّيتِ عَيْنَايَ نَحْوَكِ وَاثْنَى
قَلْبِي وَأَفَلْتَ من يَدَيَّ عَنَانِي
ومَشِيتِ نَحْوَكِ رَاجِعاً مَتَرَدّاً
مُتَثَقِلاً في خُطُوَتِي مُتَعَثِّراً
ثم اتَّجَهْتُ الى الرِّفَاقِ مُجِيباً
وجَلَسْتُ مِنْكَ على شَفِيرِ دَانِ

وظفقتُ أهذي في الحديثِ لعلني
أخفي الجوى وأصدُّ من هيماني
فسألتهم عنَّ اكونُ؟ ورنَّ في أذني سؤالك كالحيا الهتانِ
ورنوتِ في خفرِ اليَّ ورقَّةٍ لما علمتِ من الصَّحابِ مكاني
وأتى الشرابُ مصفَّقاً فدعوتني للشربِ خجلى فالتقى الكاسانِ
وشربتُ من فيك الجليلِ المُشتهى
راحاً فهِجَّ صبوتي الراحانِ
أنا من تدلّه في هوائك وان أكن
لم أقضِ في دُنياك غيرَ ثوانِ

أنا من علمتِ! ومن جهلتِ حينئذٍ فتروكته في مُلنقى الوديانِ
واضيعةَ الالحانِ! - ان لم تسمعي
حتى الصدى - واضيعةَ الالحانِ



لنزار قباني

٤ الشقيقتان

قلم الحُرّة .. اختاه ففي
أين أصباغي .. ومشطي والخلي
ناوليني الثوب من مشجبه
سرّحيني .. ضمخيني . قلسمي
شرفات الظن .. ميعادي معه
انّ بي وجداً كوجد الزوبعة
ومن الديباج هاتي أروعهُ
ظفري الشاحب ، اني مسرعه
من يد موشكة ان تقطعه
جوريني نار .. فهل انقذته

ما كذبتُ اللهُ فيما ادّعي كاد ان يهجر قلبي موضعه
 رخمة يا هندُ .. هل أمضي له وانا مبهورة بمنقعه
 انه الآن الى موعدنا جمهةً ، باذخةً ، مرتفعةً
 ورداء يحصد الشمس جوىً وفمٌ لوتِ الفصول الاربعة
 لا اسميه ، وان كان اسمه نقرة العود .. وبوح المزرعة
 لو سألتُ الريش من اجفانه أتقي البرد به .. لأقتلعه ..
 ركزي يا هند مثالي .. فعلى مهبّات الرصد ميعادي معه

لسعيد عقل

• ليلة تجتازين بستاننا •

لييلة تجتازين بستاننا خطفاً الى ذبالك الموعد
 يبقى على ريجانه في الضحى أشياء في الرّيحان لم تُعهد
 شقرةٌ شعرٌ ، وغوى عقدة ولم تقمّا جرت باليد
 ونقطة فتانةً كلّمها مستثرى غنى الجمال الندي

بالله ، لا عدت اليها ، ولا اتهمتي ، ان تمّ زهر الغد ..

ليوسف غصوب

٦ قلق

فديتك اماءه لا تأذني له بالجلوس على مقعدي
 ولا تتركينا لأمرٍ بدا فما القلبُ يا أم طوع يدي

أُحس ، اذا يدُهُ لامستُ
ويَطفو ، من الذُّعرا وحبِّه
له نظراً جائلٌ ، نافذ
ولستُ لأقوى على ردِّه
وإمّا خلونا تمادى به
تَضِلُّ المعاني بالفاظه
له في ضلوعي صدى لاهبٌ
فان طلع الصبحُ ألفى ، على
تردّدٍ في السِرِّ ، ألفاظه

فدُيتك ، أمّاهُ ، لا تأذني له بالجلوسِ على مقعدي

●

لا براهيم ناجي

٧ رسائل محترقة

ذوت الصباة وانطوت
لكنني ألقى المنا
عادت لقلبي الذكريات
في ليلة نكراء ، ارت
نامت رسائل حبِّها
زرقاء ، صيرها البلى
فحلفت لا رفقت ، ولا
أشعلتُ فيها النار ترعى
تغثال قصة حبنا

وفرغت من آلامها
يا من بقايا جامها
بجشدها وزحامها
فني طويل ظلامها
كالطفل في احلامها
كسحابة بغمامها
ذاقتُ شهياً منامها
في عزيز حطامها
من بدنها حثامها

أحرقْتُها ، ورميتُ قلبي في صميمِ ضرامها
وبكى الرماد الآدمي على رماد غرامها

لأكرم الونري

٨ حالة

تمرُّ على وجهك الذكرياتُ وتمضي مشرقةً واجهةً
بها اثر من هوى الامسيات ومن سحر أنجمها الساهية
إذا لمعت أطفأتها الحياة فتاهت بأنوارها القائمة

لحقتُ على ناظريك الشجونَ تلملم أشناتُها الهائِمة
ترنَّحُ أسباحُها في العيونِ وان كنتِ تخفينها باسمِ
وعندي في النفس بقيا حنين تميجُ بها اللفظة الناعمة

متى تفهمينِ اصفرارَ المغيبِ وحلقة آفاقنا الغائِمة
وان هنا فرقنا الدروبُ الى حيرةٍ مرّةٍ دائِمة
تظنَّينِ ان الأمانى تؤوبُ وتحيَا - فيا لكِ من حالِمة

« من مآسي الاقطاع في الشرق العربي »

كان لي في قريتي مُعْظَفٌ

وشُجيراتٌ صَبِيَّاتٌ ... وكان ..

أَمَلِي الا ترى مَحْبُوبَتِي وهي في ظلِّ الهوى غير الأمان
جمعتني بسمة العمر بها وربيعٌ أخضرٌ في كل آن
كم أُمِرْتُ صخرةُ الوادي الى

نسمة الشمال « انتا عاشقان »

كوخها الوادعُ في عزلاته
في دروبِ الحقلِ ، في مزرعتي
ذكرياتٌ حلوةٌ مؤنسةٌ
كم تسالتُ الى مخدعها
ربوتي والقمرُ الساجي الى
امناء للهوى البِكرِ اذا
رامها « شيخٌ مضاعٌ » طففتُ
شهوةٌ جامحةٌ وهي على
حسبه اننا بمالكٍ له
قالَ عني أَنِّي لستُ سوى
« ابنُ فلاحٍ » وهل عارٌ اذا
أيموتُ الامسُ في خافقها
لا .. ولن تمشي له طائفةٌ

نسمة الفجر يرقصن آفتتان
في المراعي الحضرِ ، في كل مكان
عن امانها البريئات الحسنان
ورعاةُ الشاهِ يَنشِدُنَ أغان
ضوئه يهفو حفيفُ الاقحوان
عَسَسَ الليلُ ونادانا حنان
بِقَدَى الوحشةِ فيه مقلتان
فتياتِ الحيِّ كانت ديدُبان
ولنا - يا رحمة الله - الهوان
زارعٌ يَتَخَذُ الغرسَ كيان
وهبتني خدمةُ الارضِ يدان
وهي من أجرت له الحب الدنان
وهواها السمعُ مشبوبُ الجنان

طالما شَبَّتْ على قريتها
 في اخضرارِ الحُب من ماضي الزمان
 كوخها وكرُّ الرؤى واسقي
 لعبت فيه رباحُ الحدائق
 هداة الموتِ وأشباحُ الدُّجى كلُّ ما فيه وآثارُ دُخَانِ
 ورمادٍ وعواميدُ هوتْ بعدما أحرَقه الوغدُ الجبانُ

١٠ أمطار لعبد الوهاب البياتي

حبُّها كان ... وفي قريتنا
 آه لو عدنا الى الحقل لما
 ارضه السوداء والمحراث في
 والعصافير على نُدوتها
 والرُّبى لما تزل مشاجبة
 آه لو عدنا ، لقلبت ثرى
 ولطوقت على أكوأخيه
 موقظاً من كان ليلى ليلها
 والى البيدر تمضي خلسة
 لأغاني الحاصد العائد من
 يدعي العرفاء : «انا عاشقان ،
 طردتنا الريح من كل مكان
 صدرها باق ، كما بالأمس كان
 لم تزل تونس غاب السنديان
 فلثا يسأل عنا الأقحوان
 أرضه ، واحتضنت رأسي يدان
 سابقاً نوم الصبيات الحسنان
 واليهما كان يدعوني الحنان
 عن عُيون الأهل ، تُصغي لأغان
 كوخه النائي المُغشَّى بالدخان

أتراها لم تزل تذكر ... من
 يمرها يوماً به كانت وكان ...
 نامت القرية عنا والزمان
 يوم ألقته على الأرض وقد

ليرحم الله آمالي وأهوائي اني قنعت بهذا الخدع النائي
بقية العمر أيامٌ تدبُّ على صدرٍ نهتمُّ الا بعضَ اسلاءِ
اعيشها ناكماً في ركنِ صومعةٍ قامت على صخرةٍ كالمرت صماءِ
يبدو خيالُ الاماني لي فأطرده حتى كأنَّ الاماني بعضُ اعدائي

اوتاه من عزلة كالسجن مغلقة على جراحٍ وآلامٍ وأرزاءِ
ما هذه الجثث الملقاة في سرورٍ انصاف موتى على انصاف احياءِ
صفر الوجوه كأنَّ السقمَ عفرهم بحفنةٍ من ترابِ القبرِ صفراءِ
لـ «الآه» فيهم تراثيلٌ مُنغمةٌ تنساب في قضباتٍ نصف خرساءِ
وما لهم من نهارٍ فيه مرحةٌ ولا لهم ليلةٌ ليست بليلاءِ

●

اذهبي واعبري الصحارى اليه فاذا ما احتواك بين يديه
ولحت الاشواق في مُقلتيه ومائجت اشعةٌ وظلالا
فاحذري، لا تعبري، لا تبوحِي لا تُبيني تأثراً وانفعالا
واكتلمي عنه ما يزلزل روعي منه، واطوي هواي من عينيه

هولي فتنة .. ولكن دعيه مستقرآ .. يشك في حبيبته
 ليس يدري بما يؤجُّ بصدري من حريقٍ مدمرٍ مستطير
 وامثلي انتِ صورةً بكاءً ...
 وجهها خامد بلا تعبيرٍ ميت القلب والهوى والشعور ..

فاذا الليل صفّ منه الجناحُ ومضت في انسراحها الأرواحُ
 تتلاقى على مهادِ الأنثى عبر آفاقِ عالمٍ مسحورٍ
 عالمِ الحلم ، مسبحِ اللاشعورِ
 فامسبقي انتِ كلَّ حلمٍ اليه .. واستقري هناك .. في عينيه
 عانقي روحه ، ورفي عليه
 انشديه شعري وغني لحوني في هواه ، بشيه كلَّ شجوني
 صوري لهفتي له وحنيني حديثه عن صبوتي ، عن جنوني
 حديثه حتى يلوح الصباحُ
 فاذا قبلَ السنى جفنيه وصحا ، لم يجدْ هناك لديه
 غير « لا شيء » ماثلاً في يديه !
 وارجمي انتِ صورةً بكاءً وجهها خامد بلا تعبيرٍ
 ميت القلب والهوى والشعور

هكذا ، وليظل حبي سرا غامضاً ، انّ للغموض سحرا
 آسراً يجذب النفوس اليه حيث تبقى مشدودة في يديه
 ليس تقوى على الفكاك ، فكوني أنتِ مثلي « لديه » عمقاً وغورا
 هكذا ، وليظل نهبَ الظنونِ نائماً بين شككِ واليقينِ

الشاعر تحت حافر العامل المثالي في كل ماله مساس بتلك
الصورة من ذاته التي يود الظهور بها بين الناس

لنسيب عوبيضه

١٣ يانفس

شربتُ كأمي امامَ نفسي وقلتُ : يا نفسُ ! ما المرامُ ؟
حياةُ شكٍّ وموتُ شكٍّ فلنغفر الشكَّ بالمدامُ
آمالُنا شعشتْ فغابت كالآلِ أبقي لنا الأوامُ
لابأسَ ، ليسَ الحياةُ الا مرحلةً بدوؤها ختامُ

أخذتُ نفسي الى طبيبي وقلتُ : يا طبُّ ! ما العلاجُ ؟
فراح يأسوهُ سقامَ جسمي ويحسب الداءَ في المزاجُ
فقلتُ يا صاح ! جفَّ زيتي فباطلاً تجبر السراجُ
اذا خبا النورُ في الداراري فما ترى ينفعُ الزجاجُ

يا نفسُ ! رحماك ، اينَ تمضي فما امامي سوى بدورُ
قد سامك العقلُ سومَ علجٍ ما لا تُطيقينَ من أمورُ

فلنترك العقلَ حيثُ ينبغي فليس للعقل من شعور
أنتركين الأنامَ تركاً نَحرقُ من بعده الجسورُ

...

فصاحتِ النفسُ بي ، وقالت : مالي وللناسِ والزحامِ
أصبتِ يا نفسُ ! فاتبعيني فليس كالأغابِ من مقامِ
يا غابُ ! جئناكَ للتعري انا ونفسي ... ولا حرامِ
فليُدعِ الفصن ما يراه منا ، اذا أحسنَ الكلامِ

...

لو حدّقَ المرءُ في البرايا لشامَ مالا ترى العيونُ
ما حولنا عالمَ خفي تدركه الروح في سكوتِ
كم مبصرٍ لا يرى ، وأعمى يرى ويدري الذي يكونُ
يا وبيحَ من لا يرون شيئاً الا اذا فتّحووا العيونُ



لهلي محمود طه

١٤ أخي أيها العربي

أخي ! جاوز الظالمون المدى	فحق الجهادُ وحق الفدى
أنتركهم يفسبون العروبة	مجد الأوبة والسوددا ؟
وليسوا بغير صليل السيوفِ	يجيبون صوتاً لنا او صدى
فجرّد حسامك من غمده	فليس له بعدُ ان يُعمدا
أخي ! أيها العربي الأبي	أرى اليومَ موعداً .. لا الغدا
أخي ! أقبل الشرق في أمةٍ	تردّ الضلال وتحيي الهدى

اخي ! ان في القدس اختاً لنا
 صبرنا على غدرهم قادرين
 طلعنا عليهم طلوع المنون
 اخي ! قم الى قبلة المشرقين
 يسوع الشهيد على ارضها
 اخي ! قم اليها نشق الغمار
 اخي ! ظمئت للقتال السيوف
 اخي ! ان جرى في ثراها دمي
 ونادى الحرام وجن الحسام
 ففتش على مهبجة حرّة
 وقبّل شهيداً على ارضها
 فلسطين ! يفدي حماك الشباب
 فلسطين ! نعيمك منا الصدور
 اعد لها الذابحون المدي
 وكنا لهم قدراً مرصداً
 فطاروا هباءً و صاروا سدى
 لنحبي الكنيسة والمسجدا
 يعانق في جبهه أحدا
 دماً قانياً ولظى مرعدا
 فأورد سبها الدم المصعدا
 وأطبقت فوق حصاها اليد
 وشب الضرام لهم موقدا
 أبت ان يمر عليها العدى
 دعا باسمها الله .. واستشهدا
 وجلّ الفدائي والمفتدى
 فاما الحياة واما الردى !!

لايليا ابو ماضي

١٥ الدمة الخرساء

سمعت عويل النائحات عشيّة
 يبكين في جنح الظلام صبيّة
 فتجهمت وتلفّت مرتاعة
 وتحجّرت في مقلتيها دمة
 فكأنها بطل تكنفه العدى
 في الحي .. يبتعث الأسمى ويثير
 انّ البكاء على الشباب مرير
 كالظبي أيقن انه مأثور
 خرساء لا تهمي وليس تغور
 بسيفوفهم وحسامه مكسور

وجتْ فأمسى كل شيء واجماً
الكونُ أجمع ذاهل لذهولها
لا شيء بما حولنا وأماننا
سكن الغدير كأنما التحف الثرى
وكانما الفلك المنور بلمع
كانت تازحني وتضحك فأنتهى
النور والاضلال والديجور
حتى كأن الأرض ليس تدور
حسنٌ لديها .. والجمال كثير
وسها النسيم كأنه مذعور
والأنجم الزهراء فيه قبور
دور المزاح فضحكها تفكير

قالت وقد سلخ ابتسامتها الأمل
أكذا نموت وتنقضي أحلامنا
وتتوج ديدان الثرى في أكبد
خير أذن منا الألى لم يولدوا
ومن العيون مكاحل ومراد
ومن القلوب الحافقات صباية
صدق الذي قال: «الحياة غرور»
في لحظة وإلى التراب نصير
كانت تتوج بها المنى وتور?
ومن الأنام جلامد وصخور
ومن الشفاه مساحق وذوور
قصب لوقع الريح فيه صفير!..

وتوقفت .. فشعرت بعد حديثها
الصيف ينفت حره من حولنا
سأقت الى نفسي الشكوك ونفقت
ان الوجود مشوه مبتور
وانا أحس كأنني مقرر

ليلى .. وليس مع الشكوك سرور
وخشيت ان يغدو مع الريب الهوى
كالرسم لا عطر وفيه زهور
وكدمية المثال حسن رائع
ملء العيون وليس ثم شعور

فأجبتها: لكنّ لديّ ان الثرى
لا تجزعي! فالموت ليس يضيرنا
انّا سنبقى بعد ان يضي الوري
فالحب نورٌ خالدٌ متجددٌ
وبنو الهوى احلامهم ورؤاهم
فاذا طوتنا الأرض عن ازهارها
فسترجعين خيملة معطارة
يشدو لها ويطيروا في جنباتها
او جدولا متوقفاً متوقفاً
او ترجعين فراشة خطّارة
او نسمةً انا همسها وحقيقها
تغشى الخائل في الصباح بكليّة
اجسامنا ان الجسوم قشورٌ .
فلنا اياك بعده ونشور
ويزول هذا العالم المنظور
لا ينطوي الا ليستطع نور
لا أعين ومراسفٌ ونحور!
وخلا الدجى منا وفيه بدور
انا في ذراها بلبلٌ مسجور
فتهش اذ يشدو وحين يطيرو
انا فيه موجٌ ضاحكٌ وخير
انا في جناحها الضحى الموشور
أبدأ تطوّف في الرّبي وتدور
وتؤوب حين تؤوب وهي غير

او نلتقي عند الكتيب على رضا
تمتد فيه وفي ثراه عروقها
ويغوص فيه خيالها فيلقه
وقناعة ... صفافة وغدير
ويسيل تحت فروعها ويسير

ويشف ... فهو المنطوي المنشور
الناسكان : الطيبي والعصفور
والماء - ان عطشا - لديه وفيه
نام تدفق تحته البلور
فكلاهما بكليهما مغفور
لا الصبح بينهما يحول ولا الدجى
تتعاقب الايام ... وهي نضيرة

مُخضرة الاوراق وهو غير

فالدهر أجمعه لدينها غبطة " والدهر أجمعه لديه حبور

فتبسّمت.. وبدا الرضا في وجهها اذ راقها التمثيل والتصوير
عاجلتها بالوهم فهي قريرة " ولكم أفاد الموجد التخدير
ثم افترقنا ضاحكين الى غدٍ والشهب تمس فوقنا وتشير
هي كالسافر آتٍ بعد مشقة " وأنا كأنتي قائد منصور

لكنني لما أويت لمضجعي خشن الفراش عليّ وهو وثير
واذا مرّاجي قد هتّ وتلجلجت

انفاسه فكانه المصدور

واجلت طرفي في الكتاب فلاح لي
كالرسم مطموساً وفيه سطور
وشربت بنت الكرّم.. احسب راحتي

فيها... فطاش الظن والتقدير
فكأنني فلك " هتّ أمراسها والبحر يطفئ حولها ويشور
سلب الفؤاد رؤاه والجفن الكرى

همّ عرا... فكلاهما موتور
حامت على روعي الشكوك كأنها وكانهن فريسة وصقور
ولقد لجأت الى الرجاء فعقّني اما الحيال فخائب مدحور
يا ليل! ابن النور؟ اني تائه مرّ ينبثق.. أم ليس عندك نور
أكذا نموت وتنقضي احلامنا في لحظة.. والى التراب نصير

رفقا بنفسك ايها الفلاح
 لك في الصباح على عنائك غدوة
 هذي الجراح براحتك عميقة
 في الليل بيتك مثل دهر كمنظلم
 فيخر سقك ان همت عين السما
 حتى الحمام عليك رق بدوجه
 هذي ديونك لم يسدد بعضها
 بغضون وجهك للمشقة أسطر
 عرق الحياة يسيل منك لا لثما
 اتصد جيش الطامعين ولم يكن
 قد كان يجديك الصياح لديهم
 يتنازعون على امتلاكك بينهم
 كم دارت الاقداح بينهم ولم
 حسب الولاة الحاكمون على القرى
 كيف التفاهم بين ذينك. نائح
 قد أنكروا البؤس الذي بك محقق

أفينكرون الحق وهو صراح

يا غارس الشجر المؤمل نفعه
 دعه فان ثماره الاتراح
 اقلعه فالثمر اللذيذ محرم
 للغارسين وللقوي مباح
 أصبحت تورثك الحقول أسمى فما
 يحتاج أنسك نشرها الفياح

ترتاع من مرأى النخيل كأنما سعف النخيل اسنة وصفاح
يا واهب الخير الجزيل لشعبه أكذا يجازى بالعقاب سمح
أفنت حقولك آفة ارضية عاثت بها وشعارها الاصلاح
تقضي حياتك بالعناء ولم تكن

في غير ايام السقام تراوح
مرء بيؤسك فاضح لذوي الغنى
لو ان مرءك في البلاد يباح



لأبو القاسم الشابي

١٧ ارادة الحياة ...

واذا الشعب يوماً أراد الحياةَ فلا بدَّ ان يستجيبَ القدر
ولا بدَّ للبلد ان ينجلي ولا بدَّ للقيد ان ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخر في جوها ، واندثر
كذلك قالت لي الكائنات وحدثني روحها المستقر ..

ودمدت الريح بين الفجاج وفوق الجبال ، وتحت الشجر
واذا ما طمعت الى غاية لبست المني ، وخلعت الحذر
ولم اتخوف وعور الشعاب ولا كبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر
فعبثت بقلبي دماء الشباب وضجت بصدري رياح آخر
وأطرفت أصفي لعزف الرياح وقصف الرعود ، وقع المطر

وقالت لي الارض (لما تساءلت :
 «أبارك في الناس أهل الطموح
 وألعن من لا يماشي الزمان
 هو الكون .. حيّ يحب الحياة
 فلا الافق يحضن ميت الطيور
 ولولا أمومة قلبي الرؤوم
 فويل لمن لم تشقه الحياة
 يا أم هل تكرهين البشر ؟» ...
 ومن يستلذ ركوب الخطر
 ويقنع بالعيش ، عيش الجحور
 ومحتقر الميت المنذر
 ولا النحل يلثم ميت الزهر
 لقرت عن الميت تلك الحفر
 من لعنة العدم المنتصر ... »

وفي ليلة من ليالي الحريف
 سكوت بها من ضياء النجوم
 سألت الدجى : هل تعيد الحياة
 فلم يتكلم فؤاد الظلام
 وقال لي الغاب في رقة
 « ظمئت الى النبع بين المروج
 ظمئت الى الكون اين الوجود
 هو النور ، بين رحاب الفضاء
 مثقلة بالأسمى والضجر
 وغنيت للنهر حتى سكر
 لمن اذبلته ، ربيع العمر
 ولم تترنم عذارى السحر
 محببة مثل خفق الوتر :
 يغني ويرقص فوق الزهر !
 واين أرى العالم المنتظر ؟
 وفي عالم اليقظات الكبير .. »

وما هو الا كخفق الجناح
 فصدعت الارض عن صدرها
 حتى نما شوقها وانتصر
 وأبصرت النور .. عذب الصور !

●

أحسُّ بريحٍ كريحِ الجنانِ تهبُّ بأعماقِ روعي هبوباً
وأشعرُ أن القوافي تدبُّ كالنملِ ملءَ دماغي ديباً
فهذا يزوغُ وذاك يزوغُ وذلك يُدْعِنُ لي مُستجيباً
وذاك يفارقني يائساً وهذا يُواعِدني أن يؤوباً
ومنها أوزعُ للعالمينَ طهرأً وانشر في الأرض طيباً
إذا لمست مهبتي لمسةً توثبُ قلبي بصدري وثوباً
أخلتُ فيها لقاح المني وأنجب الأرض منها شعوباً
أسلم نفسي لها ذاهلاً حريضاً عليها بشومئاً طروباً
وأصغي لها هادئاً تارةً وأصرخ حيناً عبوساً غضوباً
ولولا اهتدائي لسرَّ النبوغ واعراضه لطلبت الطيباً

يا فلسطين ! التي كدنا لما كابدتهُ من أمي نَفْسِي أماناً
نحنُ يا أختُ على العهدِ الذي قد رَضَعناه من المهدِ كلانا
يَتَرَبُّ والقدسُ منذُ احتلنا كعبتانا وهوى العربِ هواناً
مَنْ لَعَدَنانَ وغَسَّانَ بأن يزهاوا تيهاً بنا اذ نسلانا
شرفُ الموت أن نُطعِمَه أنفساً جبَّارةً تأبى الهواناً
وردةً من دميِّنا في يده لو أتى النارَ بها حالتِ جنانا

قُلْ مَنْ يَبْنِي عَلَيَّ أَسْلَانًا
ضَلَّ مِنْ دُكِّ كِبَانًا قَانًا
أَنْشُرُوا الْهَوْلَ وَصَبُّوا نَارَكُمْ
غَذَّتْ الْأَحْدَاثُ مِنْهَا أَنْفُسًا
قَرَعَ «الدُّنْشِي» لَكُمْ ظَهْرَ الْعَصَا
إِنَّهُ كَفَرُوا لَكُمْ... فَانْتَقِمُوا

...

فَمَ إِلَى الْإِبْطَالِ نَلَسَ جِرْحَهُمْ
فَمَ نَجَّحَ يَوْمًا مِنَ الْعَمْرِ لَهُمْ
إِنَّمَا الْحَقُّ الَّذِي مَاتُوا لَهُ
لَمَسَتْ تَسْبِيحَ بِالطَّيِّبِ يَدَانَا
هَبْهُ يَوْمَ الْفَصْحِ .. هَبْهُ رَمَضَانَا
حَقَّقْنَا غُشْيَ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَا

•

لَعَمْرُ ابُو وَبْشَه

٢٠ أَيُّهَا الْجُنْدِيُّ الْعَرَبِيُّ

أُمِّتِي ! هَلْ لَكَ بَيْنَ الْأُمَمِ
أَتْلَقَاكَ وَطَرَفِي مُطَرِّقُ
وَيَكَادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عَابِثًا
أَبْنَ دُنْيَاكَ الَّتِي أَوْحَتْ إِلَى
كَمْ تَخَطَّيْتُ عَلَى أَصْدَانِهِ
وَتَهَادَيْتُ كَأَنِّي سَاحِبُ
حَلْمٌ مَرَّ بِأَطْيَافِ السَّنَا
مَنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ
خَجَلًا مِنْ أَمْسِكِ الْمُنْصَرَمِ
بِبَقَايَا كِبَرِيَاءِ الْأَلَمِ !!
وَتَرَى كُلَّ يَتِيمٍ النِّعَمِ
مَلْعَبَ الْعِزِّ وَمَغْنَى الشُّمَمِ
مُتَزَرِّي فَوْقَ جِبَاهِ الْأَنْجَمِ
وَانْطَوَى خَلْفَ جُفُونِ الظُّلَمِ

...

أُمِّي ! كم غُصَّةٍ دَامِيَةٍ
 أَيُّ جَرَحٍ فِي إِبَائِي رَافِعٍ
 الْإِسْرَائِيلَ ! تَعْلُو رَايَةً
 أَنْ أَرَحَامَ السَّبَايَا لَمْ تَلِدْ
 كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَى الذُّلِّ وَلَمْ
 أَوْ مَا كُنْتَ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى
 فِيمَ أَقْدَمْتَ وَأَحْجَمْتَ وَلَمْ
 أَسْمَعْ نَوْحَ الْحَزَانِ وَأَطْرَبِي
 وَاتْرُكِي الْجُرْحَى تُدَاوِي جَرْحَهَا

وَأَمْنَعِي عَنْهَا كَرِيمَ الْبَلَسَمِ
 وَدَعِي الْقَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا
 تَتَفَانِي فِي خَسَائِسِ الْمَغْنَمِ
 رَبِّ (وَأَمْتَصْهَا) انْطَلَقَتْ
 لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ أَكْنَهَا
 مَلَأَتْ أَفْوَاهَ الصَّبَايَا الْيَتَمِ
 لَمْ تُلَامِسْ نَجْوَةَ الْمُعْتَصِمِ

أُمِّي ! كم صَنَمٍ مَجْدَتِهِ
 لَا يَلَامُ الذُّئْبُ فِي عِدْوَانِهِ
 لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طَهْرَ الصَّنَمِ
 فَاجْبِسِي الشَّكْوَى: فَلَوْلَاكَ لَمَّا
 أَنْ يَكُ الرَّاعِي عِدْوُ الْغَنَمِ
 كَانَ فِي الْحَكَمِ عَبِيدُ الدَّرْهِمِ



٢١ الشهيد المجهول لفؤاد الخطيب

يَا بِنْتَ يَعْرُبَ ! كم من مَوْجَعٍ دَنِفٍ
 لَمْ تَذْكُرِيهِ فَلَمْ يَجْعَدْكَ نَسِيَانَا

يزودُ عنكِ خفيّ الحُتْلِ .. منْغَمِساً
 في الهولِ .. يَحْمِلُ ما يرضيكِ جذلانا
 كم خاضَ معركةَ خرساءٍ داميةً
 شَبَّتْ وأمعنَ فيه السيفُ إِنْخافاً
 فلم يُجشِّمْكِ عبءُ المنِّ - منتفِخاً
 بالعُجبِ ، واحتملَ الآلامَ كتماناً
 وأنتِ يُلهيكِ عنه الصائِحونَ معاً :
 خبا ! فَتَنِّينَ اعراضاً وهجراناً
 يا ويحَ جُنْدِيَّكِ المجهولِ مُنْجَدِلاً
 على الصعيدِ سليبَ الثوبِ عُرياناً
 قد ماتَ دونكِ لم يَمُنْ عَلَيْكِ يداً
 ولم ينلْ منك عندَ الموتِ اكفاناً

مهلاً ! فصَحِّبِكِ والتاريخُ يومَ غدٍ
 سَيرُ فَعانٍ غِشاءً يسدلُ الآنا



لنزار قباني

٢٢ الى لثيمة

ماذا لَدَيْكِ .. فعندي من راحتيكِ اعترافُ
 رسائلُ .. ورسومٌ .. تتوى ، فماذا اخافُ
 اكداسُ حبٍ .. فهذا رسمٌ .. وهذا غِلافُ

خزانتي منك مَلأى بيضٌ ... وزرُقُ لَطافُ
 لا تُخرجيني .. فَتَأْرى ثأْرُ ، وسمي زِعَافُ
 وذلك .. رسمٌ قديمٌ أطارُهُ رِفَافُ
 رسمٌ لنا يومَ كُنّا بنا نُضيءُ الضِفَافُ
 هنا .. بأحدَي الزَوَايا امضاؤك الشَّفَافُ
 لا تهتفي ليسَ خطبي فليسْطور هتافُ
 الحرفُ حرفك .. فيه تأنُّقٌ والتفَافُ
 هذي وثائقُ حَقْدِي وكلُّها أَهْدافُ
 وتصرُّخين .. « جبانٌ » زورٌ .. وقولٌ جِزَافُ
 انا جبانٌ ؟ سَوَادِي ثلجٌ وعُهرِي عَفَافُ

لا لن ينوالك غَيْرِي وفي يَدِي اعْتِرافُ

التجارب الاولى في قوالب الشعر من ناحية القوافي

(أ) تنويع القوافي في ابيات القصيدة الواحدة بيتين بيتين

لميخائيل نعيمه

٢٣ النهر المتجدد

يا غرُ ! هل نضبت مياهُك فانقطعت عن الحرير
 ام قد هربت ، وخار عزمك ، فانشيت عن السير
 بالأمس كنت مرزماً بين الحدائق والزهور
 تتلو على الدنيا وما فيها احاديث الدهور
 بالأمس كنت تسير ، لا تحشى الموانع في الطريق
 واليوم قد هبطت عليك سكينه اللحد العميق
 بالأمس كنت اذا أنبتك باكياً .. سليتني
 واليوم صرت اذا أنبتك ضاحكاً .. أبكتني
 بالأمس كنت اذا سمعت تنهدي وتوجعي
 تبكي ، وها أبكي انا وحدي ، ولا تبكي معي
 ماذا جرى لك ؟ بعدما قد كنت تهرج في الصباح

هل أجدتك كآبتي وسمعت ندي والنواح
 ماذا جرى لك؟ بعدما قد كنت تُنشد في المسا
 هل داهمتك مصائبٌ مثلي ، فأخرسك الأسي
 ما هذه الأكفان؟ أم هذي قيودٌ من جليد
 قد كبَلتكَ وذلَلتكَ بها يدُ البردِ الشديد
 ها حولك الصقفا ، لا ورقٌ عليه ولا جمال
 يحشو كثيراً كلما مرّت به ربحُ الشمال
 والخورُ يندبُ فوق رأسك - نائراً - أغصانه
 لا يسرحُ الحسونُ فيه مردداً أَلحانه
 تأتيه أسرابٌ من الغربانِ تنعقُ في الفضاء
 فكأنها ترثي شاباً من حياتك قد مضى
 وكانتها بنعيمها عندَ الصبحِ وفي المساءِ
 جوقٌ .. يُشيعُ جسمك الصافي الى دارِ البقاء

لكن ستنصرفُ الشتا وتعودُ أيامُ الربيعِ
 فتفكُ جسمك من عقالٍ مكنته يدُ الصقيعِ
 وتكرهُ موجتك النقيّة حرةً نحوَ البحارِ
 حبلٌ بأمرارِ البقا تملئُ بأنوارِ النهارِ
 وتعودُ تبسمُ اذ يلاطفُ وجهك الصافي النسيمُ
 وتعودُ تسبحُ في مياهك أنجمُ الليلِ البهيمِ
 والبدْرُ يَنسَطُ من سماءٍ عليك ستراً من لُجينِ
 والشمسُ تستوُ بالأزاهرِ منكبينك العارينِ

والحور يَنْسَى ما اعتراهُ من المصائبِ والمِحَنِ
ويعودُ يَشْخُ أَنْفَهُ ويعيشُ مَحْضَرُ الفَنَنِ
وتعودُ للصفِصافِ - بعدَ الشَّيبِ - أيَّامُ الشَّبابِ
فيغردُ الحسونُ فوقَ غصونهِ ، بدلَ الغرابِ

قدْ كانَ لي يا نهرُ ! قلبٌ ضاحكٌ مثلَ المَروِجِ
حرٌّ كقلبكِ فيه أُميَّالٌ وآمالٌ تَمُوجُ
قدْ كانَ يَضْحَى غيرَ ما يُمسي ، ولا يَشْكُو المَلَلُ
واليومَ قدْ جمدتْ كوجهكِ فيه أمواجُ الأملِ
فتساوتِ الأيَّامُ فيه .. صباحُها ومساءُها
وتوازنتْ فيه الحياةُ .. تعيمُها وشقاؤها
سيَّانِ فيه غداَ الربيعُ معَ الحريفِ أو الشتاءُ
سيَّانِ نوحُ البائِسينَ وضحكُ أبناءِ الصِّفاءِ
نبذتْهُ ضوضاءُ الحياةِ فمالَ عنها وانفردَ
وغداَ جمادٍ لا يُحسُّ ولا يَميلُ إلى أَحَدِ
وغداَ غريباً بينَ قومٍ كانَ قبلاً منهمُ
وغدوت بينَ الناسِ لغزاً ، فيه لغزُ مُبهم

...

يا نهرُ ! ذا قلبي أراهُ - كما أراكَ - مُكبَّلاً
والفرقَ انك سوفَ تَنشِطُ من عُقالِكَ ، وهو... لا..



(ب) تنويع القوافي بالمناوحة بينها في كل عقد يؤلف من ثلاثة أبيات فأكثر على أشكال في قصيدة ذات عقود متشابهة النغم

٢٤ لو تدرك الأشواك ... لميخائيل نعيمة

يا ساقِي الجُلّاسِ ! باللهِ لا
تَحْفَلْ بِكَاسِي ، بينَ هذِي الكؤُوسِ
أترَعْ لغيرِي الكأسَ ؛ أمّا أنا
فاحسَبْ كأنِي لستُ بينَ الجُلُوسِ
واعبُرْ .. ودعني فارغَ الكاسِ
لا . لا تَقُلْ ما طابتِ الخمرُ لي
أو انني ما بينَكم كالغريب
بل انْ لي - يا صاحبي - خمرَةً
ما مثلُها يُطْفِي برُوحِي اللهبِ
أعصِرُها من قلبي القاسي

يا زهرةً - ما بينَ شوكٍ نمتُ -
لولا شذاها ضلَّ عنها البشرُ
هل تُدركُ الأشواكُ .. يا زهرتي !
انْ الشذا هذا شذاك انتشر ..
.. في الحقل ، لا عطرُها فاحا ؟
هل تُدركُ الأشواكُ ما تُدركين ؟

هل عطر العليق أذباله
 من حيث تَمْتَصِين أنتِ الأريج ؟
 أم حاك - غير الشوك - ثوباً له
 من حيث حكّتِ انتِ أبهى النسيج ؟
 قد تُصبح الأشواك آقاحاً
 لو تعرفُ الاشواكُ ما تعرفين !..



لا يلينا أبو ماضي

٢٥ فاتحة الطلاسم

جئتُ ، لا أعلمُ من أين ، ولكنني أتيتُ
 ولقد أبصرتُ قدّامي طريقاً فُشيتُ
 وسأبقى سائراً ان شئتُ هذا ام أبيتُ
 كيفَ جئتُ ؟ كيفَ أبصرتُ طريقي ...
 لستُ أدري
 أجديدهُ ام قديمُ انا في هذا الوجودُ
 هل انا حرٌّ طليقٌ . ام أسيرٌ في قيودُ
 هل انا قائدُ نفسي في حياتي ام مقودُ
 اتّمتى انّني أدري ، ولكن ..
 لستُ أدري

وطريقي ! ما طريقي ، أطويل ام قصيرُ
 هل انا أصددُ ، ام اهبط فيه واغورُ

أنا السائرُ في الدربِ ، أم الدربُ يسيرُ
أم كلانا واقفٌ ، والدهرُ يجري ..

لست أدري

ليت شعري وانا في عالم الغيب الامين
أتراني كنت أدري انني فيه دفين
وبأني سوف ابدو ، وبأنني سأكون
أم تُراني كنت لا أدرك شيئاً ..

لست أدري

أتُراني قبلما اصبحت انساناً سويتاً
كنت مَحْوً أو مُحَالاً ؛ أم تُراني كنت شيئاً
ألهذا اللغز حلٌ ، أم سيبقى ابدياً
لست أدري .. ولماذا لست أدري ..

لست أدري



لايليا ابو ماضي

٢٦ تعالي

تعالِي نتعاطاها كَلونِ التَّبرِ أو أسطعْ
ونَسقي النرجسَ الواشي بَقايا الراحِ في الكاسِ
فلا يَعرفُ مَنْ نَحْنُ ولا يُبصرُ ما نَصنعُ
ولا ينقلُ عندَ الفجرِ نَجوانا الى الناسِ
تعالِي نَسرقِ اللذاتِ ما ساعَقنا الدهرُ
وما دُمنا وما دامتْ لنا في العيشِ آمالُ

فان مرّ بنا الفجرُ وما أوقظنا الفجرُ
 فما يُوقظنا علمٌ ، ولا يُوقظنا مالٌ
 تعالني نطلق الروحين من سجن التقاليد
 فهذي زهرة الوادي تُذيع العطر في الوادي
 وهذا الطير تباه فخور بالأغاريد
 فمن ذا عتف الزهرة أو من وبخ الشادي ؟
 أراد الله ان نعشق لما أوجد الحسناء
 وألقى الحب في قلبك اذ القاه في قلبي
 مشيئته ... وما كانت مشيئته بلا معنى
 فان احببت ما ذنبك ، او احببت ما ذنبي ؟
 دعني اللاحي وما صنّف ، والقالي وبهتانه
 اللجدول ان يجري وللزهرة ان تعبق
 وللأطياف ان تشتاق أياراً والوانه
 وما للقلب - وهو القلب - ان يهوى وان يعشق
 تعالي ان ربّ الحب يدعونا الى الغاب
 لكي يمزجنا كالماء والخمرة في كأس
 ويغدو النور جلاببك في الغاب وجلبابي
 فكم نضعي الى الناس ، ونعصى خالق الناس
 يريد الحب ان نضحك .. فلنضحك مع الفجر
 وان نركض .. فلنركض مع الجدول والنهر
 وان نهتف .. فلنهتف مع البلبل والقمر
 فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث او يجري ؟

تعالى قبلما تسكتُ في الروضِ الشحاريرُ
ويَدوي الحورُ والصفافُ والنجسُ والآسُ
تعالى قبلما تَطْمُرُ احلامي الأعاصيرُ
فنستبْقُ لا فبحرُ .. ولا خمرُ .. ولا كاسُ



٢٧ في ظل وادي الموت لأبو القاسم الشابي

نحنُ نَمشي .. وحولنا هاتيه الأكوانُ نَمشي .. لكن لأية غايه؟
نحنُ نَشْدو مع العصافيرِ للشمسِ وهذا الربيعُ ينفخُ نايه
نحنُ نتلو رواية الكونِ للموتِ ولكن .. ماذا ختامُ الروايه
هكذا قلتُ للرياحِ فقالت: سلْ ضميرَ الوجودِ كيفَ البدايه!
وتَغشَى الضبابُ نفسي .. فصاحتُ في ملالٍ مرٍّ: الى اين امشي!
قلتُ: سيوري مع الحياه ، فقالت: ما جئنا تَري من السيرِ أمس؟
فتهافتُ - كالهشيم على الأرضِ - وناديتُ: أينَ يا قلبُ رَفْشي؟
هاته .. علني أخطُ ضربي في سكونِ الدُجى .. وأدفن نفسي
هاته .. فالظلامُ حولي كثيفٌ وضبابُ الاسى منيخٌ علياً
وكؤوسُ الغرامِ أترعها الفجرُ ولكنْ تَحْطِطُ في يدياً
والشبابُ الغريرُ ولئى الى الماضي وخلقى النعيبُ في شفتي
هاته يا فؤادُ! انما غريبانِ نصوصُ الحياهِ فتأ سَحيحاً
قد رتَعنا مع الحياه طويلاً وشَدَدنا مع الشبابِ سنيناً
وعَدَدنا مع الليالي حَفَافاً في شُعابِ الزمان ... حتى دَمِينا

وأكلنا التراب... حتى مللنا وشربنا الدموع... حتى رونا
ونثرنا الاحلام والحب والالام والحزن... يصرة وبمينا
ثم ماذا...؟ هذا أنا.. صرت في الدنيا بعيداً عن هواها وغناها
في ظلام الفناء.. أدفن أيامي ولا استطيع حتى بكائها
وزهور الحياة تهوي بصمت مجزن مضجر على قدمياً
جف سحر الحياة.. يا قلبي الباكي فهيا نجرب الموت... هيا!!

•

لأجد الطرابلسي

٢٨ في في لحن

يا حبيبي ! كلما جئتُ الحَمِيلَةَ
أتوارى في حناياها الظليلة
فرت زنبقة نَحوي جميلة

أو سمعتُ الطير في الاغصان غنى
طرباً.. يتزلها غصناً فغصناً
شاقني ان أسمع الأطيّار لحننا

ثم أمضي والأسى يغمري
انت لا تسمعني حين أغني
يا حبيبي ! فلن أعزف لحنني !

كلما همت على الشاطئ وحدي
ورأيت الموج في جزر ومد
هاجت الوحدة آلامي ووجدني

فذكرتُ الليل .. والأنجمَ تَرنو
 والهوى في الشطِّ .. والبحرَ يَرِنُ
 فهـا في قلبي النشوانِ لَحْنُ
 ثمَّ امضي والدُّجى يَشْمَلُني
 أنت لا تَسمَعِني حينَ أُغني
 يا حَبِيبِي! فَلِمَ اعزَفَ لَحْفي!



لقدوى طوقان

٢٩ أنا وحدي مع الليل

في الليل اذ تهبط روح الظلام
 مرسله فيه الرؤى الهائمه
 يطيف بي في يقظتي الحالمه
 طيف ولكن ماله شكل
 يحضنه جفني ، ولا ظل
 وانما بجسدي الملهم
 اعيه شيئاً ملفزاً مبهم
 كأننا طلسمه الليل
 وكلما رفعت في وحدتي
 له مصابيحي اتزوى في القتام

في الليل اذ تنعس روح الوجود

يَخْطِفُنِي شَيْءٌ وَرَاءَ الْفُضَاءِ
كَأَنَّمَا تَحْمِلُنِي فِي الْخُفَاءِ
ضَبَابَةٌ تَسِيرُ فِي تِيهِ
لَا لِسْمَةٍ تَجْلُو دِيَابِجِهِ
لَكِنَّ رُوحًا غَيْرَ مَنظُورٍ
وَارَاهُ دُونِي الْف دَيَّجُورٍ

أَحِسُّهُ فِي لَاتِنَاهِي الْمَدَى
يَسْشُدُّنِي إِلَى بَعِيدٍ بَعِيدٍ ..

فِي اللَّيْلِ إِذَا تَخَشَعُ رُوحُ السَّكُونِ
اسْمَعُ فِي الْمَدَاةِ صَوْتًا غَرِيبَ
صَوْتًا لَهُ طَعْمٌ ، وَلَوْنٌ ، وَطِيبٌ
طَعْمٌ ، وَلَكِنْ غَيْرُ ارْضِيٍّ
لَوْنٌ ، وَلَكِنْ غَيْرُ مَرْتَبِيٍّ
طِيبٌ ، وَلَكِنْ .. لَا ، فَمَا أُدْرِي
مَا كُنْهُ ، كَأَنَّمَا يَسْرِي
مَنْ عَالِمٍ هُنَاكَ غَيْبِيٍّ
تُظَلُّ رُوحِي وَهِيَ مَأْخُودَةٌ
تُصْغِي إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ الدُّجُونِ

....

ما انتَ يامنُ في ظلامِ الليالِ
 أحسّه ملءَ حنايا الوجودِ
 في الأرضِ في الاثيرِ في اللاحدودِ
 في قلبِ قلبي ، في سماواتي
 في روحِ روحي ، في مدى ذاتي
 هلاّ تَوَضَّعتَ بأفريقي
 هلاّ تَجَسَّدتَ لأشواقِي
 هلاّ .. ولكن كيفَ ، هيهاتِ !
 فأنتَ مثلُ الغيبِ ما تَنجَلِي
 بالغزُ .. يا حقيقةً كالخيالِ !



لنازك الملائكة

٣٠ الزهرة السوداء

كنزُنا الغالي تركناه هنا
 لحظاتٍ ثم أسرَعنا اليه
 والتمسناهُ وراءَ المنجى
 وعلى التلّ ... فلم نعثِر عليه

وسألنا عنه في الغابة ربوه
 فأجابتْ : انها قد نسيتهُ
 وهمسنا باسمه في سَمْعِ مَرَوَه

فتناست في الدُجى ما سمعته

غيرَ انَّ الفجرَ حيى في ابتسام
وأرانا في مكانِ الكنزِ زهرة
نبئتُ سوداءَ في لونِ الظلام
وسقاها دمعنا ليناً ونشره
كلَّما مرَّت بها ريح الصباح
بعثتُ في الجوِّ موسيقى خفية
وأنيباً خافئاً ملءَ الرياح
كمنتُ فيه دموع البشرية

انها زهرتنا الوسى الحزينة
امسنا في لونها ما زالَ لدنا
فمَحَنَّاها ما قينا السَّخينة
وحملناها مع الذِّكرى وعُدنا

●

(ح) تنويع القوافي في قصيدة طويلة
ذات مقطوعات لكل مقطوعة قافيتها

خليل مردم

سكوان وسكوى ٣١

لو رأيتَ الكأسَ والوجه الصبيح
لم تلتئمَ في الراحِ من بعصي النصيح

تركت في كأسها لي قبيلة
 طابت الراح بها طعناً وربحاً
 أرسل الابريق شؤوب سناً
 فاذأ أقداحنا قوس قزح
 كشعاع الشمس للألاء ، فهل
 بعث النور ، أم النار قدح ؟
 صعد الزفرة حرتي ، وبكى
 حينما أهوى على ثغر القدح
 كمجبن .. فم زق فما
 علت الأنفاس ، والمدمع سج
 غص بالشهقة لما ارتد عن
 شفة الكأس ، وبالدمع الملح
 راعف المنقار ، خفاق الحشا
 من رآه خاله طيراً ذبيحاً
 وهي كالجدوة تنزو مرحاً
 فذر الماء يرؤض منها جموحاً
 رامها ابن المرن فاستجيت ، فما
 مسها حتى تغشاها حجاب
 صافيان امتزجا فاستترا
 هكذا الماء على الشمس سجاب
 هل رأيت النار يعلوها دخان
 أبيض ، والشمس يغشاها ضباب
 بسمت حتى ثناياها بدت
 لا تسخل ان الذي يطفو حجاب
 أصبحت - بابن السما - مثل السما
 كوكب يبدو ، وينقض شهاب
 عبت في الكأس من أنفاسها
 نفحة تهدي الى الندمان روحاً
 وهي قبل المزج تحكي - رقة -
 أدمع « العذراء » اذ تبكي « المسحاة »
 قد رفعناها ، نحني بعضنا
 وقرعنا بعد ذا كأساً بكاس
 وتعاهدنا على « السر » ، وما
 أضيع « السر » على أنفاس حاس

وعلى اسم «الحب» كانت نهلة
ثم ثنيننا، فسأغت سهلة
أنبتت في كل خد وردة
ورمت في كل عين بالنعاس
ومن الألسن حلت عقدا

هكذا تجعل من عي فصيحاً

أرهفت حساً، وهاجت شجنأ

وبها جو المني أمسى فسيحاً

أيقظت عاطفة وثابة
ورمت جفنأ وجسم بالفتور

هانت الدنيا على شاربها
لا تساوي عنده شروى نقيز

هي - لولا الكأس - لا معنى لها
دارت الدنيا على كف المدير

كلما قبلها هام بها
فحساها بصغير . . وكبير

أي شيء تبعث الراح به
من أمان ونعيم وسرور

ضم من اجفانه مستثبناً

اذ رأى احلامه تيجلي وتوحي

السماء دبر رؤى سحرية

فاتخذ كأسك شقأ، و«سطيحاً»

يا رضيع الكأس! أفديك اخأ

في رضاع الكأس قربي ورحم

أخت الجرة فيما بيننا
بلسان وروح وبدن

أي أم بذلت - من قبلها -
لبنها كل هذا . . أي أم ؟

حملت من كل من ترضعه
عنت الطفل، ولو كان هرم

طفلتها، فانشى حتى انتهى
للكرى، ينعم بالطيف الملم

كلّما هشتّ اليه زادها

- ديدنَ الطفل - قُطوباً وكنلوحا

ايّها الناعمُ بالاحلامِ ، هلْ

عبّرَتْها الراحُ تعبيراً صحيحاً ؟

وَالْفَيْن - كما شاءَ الهوى والصبا - جُنتَ بهِ حبّاً ، وجُنْ

هي كالطاووسٍ من زُهورِ الصبا وهوَ من غلوائِهِ مهرٌ أُرِنَ

يزهر البدرُ على جبهتها وعلى وفريهِ الليلُ يُجِنُ

فَتَنَتْ حُسناً ، وراقتْ زينةً يكحلُ الحسنُ اذا واتاهُ فنْ

فترى الزُخرف في حُلّتها نوره يسهلُ كانغيثِ الهنْ

فاذا ما اسرعت في مَشِيها

عجّ - كالشلالِ - ينصبُ دلوحا

حُلّةٌ أغرتُ بما قد ستوتْ

حينَ زادتُ حسن ما أبدتْ وُضوحا

تركت من حاجبَيْها أثراً مرهفاً ، والسيفُ ان دقَّ مضى

وعلى اجفانها - من كُحلها - ظلمةٌ ، من يدينها النجمُ أضاً

انما الحُمرَةُ في مبسمها قبلةٌ حرّى ، حكّتْ جمرَ الغضا

في يديها وعلى اقدامها مُهَجٌّ سالتْ ، ودمعٌ غيضا

أرايتَ العاجَ قد قَمَّعه وَهَجُ الياقوتِ .. او سَمَّعاً مَضا ؟

رفٌ طيرُ الحُلّي في لبتيها

يَبْتغي في صدرها رُكناً مريحاً

عشيتْ مرأتها من طول ما

قابلتْ من وجهها برقاً مُليحاً

ماتَ الحمرَ بأعطافِها من رأى غصنا على غصن يميلُ
الهوى يقظانُ صاحٍ ، والنهى غاله من سورة الصهباءِ غولُ
شوّشتُ وفرتَه ، لما رأْتُ رأسَه ما بينَ ندييهما يميلُ
فسما بالطرفِ يرنو ، فاذا

طرفه - من شدّة السكر - كليل
بالمخمورين ملتقيين ، لم يعر كلُّ منها ماذا يقولُ

نضبتُ كأسَها ، فاستمسكا

ثم قاما - بعد لأيٍ - ليروحا

أشبهها الميزانَ .. ما من طرف

شالَ الا " طرفٌ كانَ رجيحا

بلغا - بعد اللتيا والتي - غرفةً فيها الهوى ناهٍ أمورُ
هبتَ الأشباحُ من رقدتها حينما أوقظَ في المشكاةِ نورُ
التماثيلُ بها عاريةٌ والدُمى والزهرُ نظمٌ ونشيرُ
أطبقَ البابُ فمأخلفها فمها كالسرّ يحويه ضميرُ
والكوى قد اغمضتُ أجفانها حينما ضمّتْ عليهنّ الستورُ

والكراسي فاتحاتٌ اذرعا

وصدوراً - للقاء الاحبابِ - فيحيا

واحمرارُ النور - في ظلمته -

مؤذنٌ انّ له جفناً قريحاً

ومها - برح استيقاقٍ - في سعيهِ

لشَمِّمِ الحُلْدِ في ذاكَ السريرِ

مَنْ رَأَى « الزُّهْرَةَ » - فِي عُرْبَتِهَا -

والذي تَهْوَى ... على مهدٍ وثير
رَفَّتِ الكَلَّةُ بِشَرًّا ، وَاحْتَفَى بِهَا المَهْدُ بِخَفَقٍ وَصَرِيرٍ
أَسْلَمَ المَصْبَاحُ جَفْنًا للكَرَى وَعَقَا ، رَغَمَ شَهيقٍ وَزَفِيرٍ
وَدَّ كُلُّ مِنْهَا لَوْ ظَلَّ فِي نَوْمِهِ هَذَا إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ
لَا يُبَالِي عَاشِقَانِ اعْتَنَقَا
أَمِيرًا نَزْلَاهُ ، أَمَ ضَرْيَحَا

فاغفر اللهم زلاتِ الصِّبَا
وتقبل توبةً - مِنَّا - نصوحا

●

٣٢ جان دارك

لعمر ابو ريشه

الفجرُ أوما .. والبتولُ بجلمها المعسولِ نَشَوَى
حَتَّى إِذَا حَلَمُ الصَّبَا وَلِيَ مَعَ الظُّلُمَاءِ عَدُوًّا
أَخَذَتْ تَمَطَّى وَالْفَتُورُ يَهْزُهَا عَضُوءًا فَعَضُّوا
وَعَطَّاءُهَا حَيَوَانُ يَزْلِقُ عَنْ تَرَائِبِهَا وَيُطَوَّى
وَأَكْفَتْهَا فِي شَعْرِهَا تَرْدَادُ دَغْدَغَةٍ وَلَهَّوْا
وَالنَّاهِدَانِ بِصَدْرِهَا يَتَوَاتَبَانِ هَوًى وَشَجَا
فَقَشَدُ فَوْقَهَا وَسَادَتْهَا وَفِي شَعْفٍ تَلَوَّى
وَبَوَارِقُ الْوَجْدِ الْحَقِيقِيِّ تَنَزَّوْا مَعَ النُّظَرَاتِ نَزْوَا

هيهات تُروى والحياةُ خدينتُها ، هيهات تُروى !!

نظرتُ الى مرآتها والشعرُ مضطرب الضفائرُ
ولحافظُها بشْماله الأحلام ساهية فواترُ !
وقمصُها المحلولُ فوقَ توائبِ النهدينِ حائرُ
فطفتُ هـواجسُ نفسها ما بينَ مُضطجِبٍ وثائرُ
فاستعرضتُ عيشاً كما شاءَ الهوى ريانَ عاطرُ
وتمثلتُ خديناً يحلُّ براحتيه لها المآزرُ
ويضمُّها شغفاً وهمي فوقها القُبل الماطرُ !!
فتلججحتُ خجلاً وغصتُ بالشهيِّ من الحواطرُ !
وتنهَّدتُ ألماً وأطبقتُ الجفونَ على الحاجرُ !!! ..

وقفتُ تُصلي هيبَةً والنفسُ خاسعةٌ كئيبةُ !
وصليبهُا القدسيُّ يرمقُها بنظراتٍ رهيبه
فتزحزحتُ أجفانها عن دموعِ الخوفِ السكيبه
وفؤادها الخذولُ يكمُ في مخاوفه وجيبه
زعمتُ به كلَّ الذنوبِ ولم يكن يدري ذنوبه
فاستغفرتُ عن حُلُمه الطاغى وثورته المريبه
واستعصمتُ بصليبيها من كلِّ هاجسه مشوبه
وبنت له خلفَ الضلوعِ هيباً كلَّ الحبِ الرحيبه
ومشت على أملِ الشبابِ وطيبِ زهرته الرطيبه !

مضت الليالي ... مثلما الأحلامُ في اجفانِ نائمٍ
 فاذا البتولُ على جوادٍ مثل جلدِ الليلِ فاحيمٍ
 ينزو بها ولجامه حيرانُ والازبادُ لاطيمٍ
 واما مَها علمُ البلادِ بموجِ الجنباتِ باسمٍ
 ووراءها جيشٌ من الفرسانِ مشدودُ العزائمِ
 وخيوله مذعورةٌ تحت القنايلِ والصوارمِ
 ينسابُ في الوادي كما الرقطاءُ بات لها قوائمُ !
 وغبارُه يعلو على جنبه من عطف المنايمِ
 والافقُ مطروفُ العيونِ بلفحه والصخرُ شاتمُ !

نادتُ بفيلقِها البتولُ وهزّتُ ساعدُها المهنّدُ
 وعدتُ مهلّةً تحف بها اسودّ ليس ترعدُ
 وفعلتُ في تكتةِ الاعداءِ في عزمٍ موطنّدُ
 فتلاحمَ الجيشانِ فاندلع اللظى والهولُ أرعدُ
 هذا يفرُّ وذا يكرُّ وذا يكبُّ وذا يصعدُ
 والموتُ يبلعُ ما تلقمه يَدُ الطعنِ المسدّدُ
 حتّى اذا نالت نواجذُه من الاشلاءِ مقصدُ ...
 بدت البتولُ كما بدا من كوةِ الظلماءِ فرقدُ
 تختالُ جذلي بالفخارِ وعزةِ النصرِ المخلّدُ

نصرٌ على نصرٍ يزيدُ خصومَها الابطال ذُعرا
 ما غامرت الا وأبدت من ضروبِ العزمِ سِجرا

حتى اذا الوطنُ الأسيرُ بدا من الأغلالِ حرّاً
 هوتِ البسولُ المستمينةُ في يدِ الاعداءِ غدرا
 فطغتِ سخائمُهم كما لو في الحشمِ قذفتِ جُمرا
 ومشوا بجوساً يحملونَ بتولهم للنارِ زكرا
 ورموا بها وتجمّعوا من حولها نبيها وكبرا
 فتجلّدتْ ويدُ اللظى ترمي بمنزرها فتعري
 ونهزّها هزّاً فتعلو تارةً وتخِرُّ طورا !

أخذتْ تُصعّدُ روحها في قبضةِ النارِ المهيةِ
 واماها تمشي طيوفُ الخلدِ في حُلّ قشيبه
 فبدتْ تُصلي للصليبِ صلاةً فاترةً طروبه
 فاذا به ما زالَ يرمقها بنظراتٍ رهيبه !!!

●

لأبو القاسم الشابي

٣٣ الاشواقِ التائهة

يا صميمَ الحياةِ ! اني وحيدٌ مُدلجٌ تائهٌ فأينَ شروقك ؟
 يا صميمَ الحياةِ ! اني فؤادٌ ضائعٌ ظامٍ فأينَ رحيقك ؟
 يا صميمَ الحياةِ ! قد وجعَ النايُ وغمَ الفضا فأينَ بروفك ؟
 يا صميمَ الحياةِ ! أينَ أغانيك فتحتَ النجومَ يُصغي مشوقك .

كنتُ في فجريّ الموشح بالاحلام
 عطرّاً يرفُّ فوقَ ورودك
 حالماً ينهلُ الضياءَ ويضعي لك في نشوةٍ بوحيٍ نشيدك
 ثم جاء الدجى . . . وأمسيتُ
 أوراقاً بيداداً من ذابلاتِ الوردِ
 وضباباً من الشذى . . . يتلاشى
 بينَ هولِ الدجى وصمتِ الوجودِ

كنتُ في فجركَ المغلفِ بالسحرِ
 فضاءً من النشيدِ الهادي
 وسحاباً من الرؤى . . . يتهادى
 في ضميرِ الآزالِ والآبادِ
 وضياءُ يعانقُ العالمَ الرحبَ ويسري في كلِّ خافٍ وبادِ
 وانقضَى الفجرُ فأنحدرتُ من الأفقِ
 ثراباً إلى صميمِ الوادي

يا صميمَ الحياة ! كم أنا في الدنيا غريبٌ . . . أشتى بغربةٍ نفسي
 بينَ قومٍ لا يفقهون أناشيدَ فؤادي ولا معاني بُؤسي
 في وجودٍ مكبلٍ بقيودِ تائهٍ في ظلامِ شكٍّ ونحسٍ
 فاحتضنني .. وضممني لك بالماضي فهذا الوجودُ غلةٌ يأسى

لم أجدُ في الوجودِ الا شقاءً مرديّاً ولذةً مضمحلةً

واماني يُفرقُ الدمعُ احلاها ويُنفي يَمُ الزمانِ صداها
واناشيدَ يأكلُ اللهبُ الدا مي مسراتِها ويُبقي اساها
ووروداً تموتُ في قبضةِ الأشـوالك... ماهذه الحياةُ المُملِة؟

سأمُ هذه الحياةُ معادٌ وصباحٌ يكرُّ في إثرِ ليلٍ
ليتنى لم أفدُ الى هذه الدنيا ولم تسبح الكواكبُ حولي!
ليتنى لم يعانق الفجرُ احلامي ولم يَلثم الضياءُ جفوني!
ليتنى لم ازل كما كنتُ: ضوءاً سائماً في الوجودِ غيرِ سجينِ!

●

لبدر شاكر السياب

٣٤ ديوان شعر

ديوانُ شعريّ ، ملؤه غزلٌ بينَ العذارى باتَ ينتقلُ
أنفاسي الحريّ تهيمُ على صفحاته ، والحبُّ والأملُ
وستلقتي أنفاسهنَّ بها وتحوم في جنباته القُبلُ
ديوانُ شعريّ ، ملؤه غزلٌ بينَ العذارى باتَ ينتقلُ

لما بعينَ النوحِ والشكوى كلُّ تقولٍ : من التي يهوى؟
وسترقى نظراتهنَّ على الصفحاتِ بين سطوره نشوى
ولسوف ترتجّ النهودُ اسيً ويثيرها ما فيه من بكوى
ولربّما قرأتهُ فاتننتي فمضتْ تقولُ : من التي يهوى؟

سِيرَيْنَ مَا لَا قَيْتُ فِي حُبِّي فيصحنَ : يا للعاشقِ الصَّبَّ !
ولقد تسيلُ دموعهنَّ على جنباقه ، مَوْصُولَةُ السَّكْبِ
يا لَيْتَ قلبي من قصائدهِ لتَرَى الحسانَ الغيدُ ما قلبي
سِيرَيْنَ مَا لَا قَيْتُ فِي حُبِّي فيصحنَ : يا للعاشقِ الصَّبَّ !

ديوان شعري ! ربَّ عذراءِ أذكرتها بحبيبها النَّائِي
فتحمت شقَّةً مُقْبِلَةً وشئت أنفاسَ وأصداءِ
فطوتك فوقَ نهودها بيدِ واسترسلتُ في شبهِ اغفاءِ
ديوان شعري ! ربَّ عذراءِ أذكرتها بحبيبها النَّائِي

يا لَيْتَنِي أصبحتُ ديواني أختالُ من صدرٍ الى ثاني
قد بتُّ من حسدٍ أقولُ له : يا لَيْتَ مَنْ تهواكَ تهواني
ألكَ الكؤوسُ ولي زُمالتها ولكَ الخلودُ واني فانِ !
يا لَيْتَنِي أصبحتُ ديواني أختالُ من صدرٍ الى ثاني

•

لايليا ابو ماضي

٣٥ انا وابني

قال لي ابني وهو حيوانُ بما يحكي ويقرأ :
« كيفَ كانَ الله ؟ انِّي قد وجدتُ اللهَ مرَّاً
أسمعُ الناسَ يقولونَ بهِ خيراً وشرَّاً
فأفدني ... »

قلتُ: «يا ابني ! انا مثلُ الناس طُوراً
ليَ في الصَّحَّةِ آراءُ وفي العِلَّةِ أُخرى
كلُّما زحزحتُ ستراً خلَّفتُني أُسدلُ ستراً
لستُ أدري منك بالأمرِ ولا غَيري أدري ...

أَحسَبُ اللهَ الذي صاغَ من الذرَّاتِ صخراً
والذي شاءَ فسوَّى قطراتِ الماءِ بحراً
والذي شاءَ فضمَّ الـ بِحَرَ أَصدافاً ودُرّاً
وأرادَ الضوءَ اجراماً فصارَ الضوءُ زُهوراً
إن هذا اللهَ لمَّا شاءَ هذا كانَ .. فكراً

ثمَّ لمَّا نشرَ الألوانَ في الأرضِ زُهوراً
ورأى أن يُعلنَ الحبَّ غِناءً وجُهوراً
فتمشَّى في حواشي الـ ليلِ سحراً وعطوراً
وتهادى في حواشي الأفقِ أطيافاً ونوراً
هو لمَّا شاءَ هذا كانَ ... حسّاً وشعوراً

من أحبَّ اللهَ جباراً ، وقتَّاكاً ، وقاهرَ
فأنا أهواهُ رساماً ، وفناناً ، وساحراً
وأراه في النَّدَى والزَّهْرِ والشَّهْبِ السَّوافِرَ
فاذا الأنجمُ غارتْ وانطوتْ كلُّ الأَزهَرِ
وتلاشى كلُّ ما أنشأَ وسوَّى من مناظِرَ

لاح لي في حسنه الأكل في ...
... ديوان شاعر! »

اغنية الحياة ٣٦

لنازك الملائكة

إذا سألوا في غدٍ عن هوانا
وراح يُجيبهم العابرون
وذُقنا الهوى والاسى والعذاب
وعفّت على اثريّنا الرياحُ
وقال لهم قائلٌ : إننا
وان ابتساماتنا كنّ لونا
وانا دفعنا اناشيدنا
وكنّا كمن قبلنا غرباء
فمن سوف يُخبرهم اننا
وانّا ملكنا ضياء النجوم
وكانت لنا من خدود النسيم
وانّا تركنا حكاياتنا
وانّا عرفنا الحياة ارتعاشاً
عرفنا الغرام الرقيق الجبين
وكم مرّة قد ضمّنا السعا
وذُقنا حنين الجمال اللذيذ

ونحن تراب مع الذكريات
بانّا مرّنا بهذى الحياة
كأسلافنا ثم عُدنّا رفات
وعُدنا ضباباً تلاشى ومات
شربنا الاسى في ثنايا الكؤوس
يُغلّف شيئاً طوته النفوس
واحلامنا للرجاء العبوس
على الأرض ثم طوتنا الرموس
شربنا العذوبة حتى سكرنا
ودجلة والفجر فيا ملكنا
وسائد تُسندنا ان كللنا
واخبارنا للرياح .. ونمنا
ونبضاً وأغنية خالدة
وذُقنا لياليه الساهدة
دة في هذه الأذرع الهامدة
وملح مدامينا الباردة

وكانت لنا قطرات الندى ومنزلق الضوء كل صباح
 وكان النسيم شفاهاً تمرُّ تُقبل ما جرحته الرياح
 وكنا نحب الشذى والنخيل وآفاقنا والسهول الفساح
 وان جرحتنا اكف الحياة سكبتنا الرضا في شفاه الجراح
 وكان الوجود سخيَّ اليدين فاعطى هوانا ضياء القمر
 ولف خيالنا بالعبير ومد علينا ظلال الشجر
 وروى صدانا بخمر الكروم وطهر افكارنا بالمطر
 وتوجنا بغصون البنفسج والزنبق المخملي العطر
 وكسا له باناسيدنا واشواقنا المرحات الوضاء
 ومن أجله قد هويتنا الحياة ومن أجله قد عشقنا الفناء
 وهانحن بين ذراعي ثراه نشيدن لا يعرفان انتهاء
 يُعشش في تربتنا الجمال فيا جهل من ظننا اشقياء



(د) تغيير اوزان في قصيدة طويلة بين مقطوعات
 لا تتشابه شكلاً اثناء تنويع قوافيها

٣٧ الاله الناقص (من عبقر) لشفيق معلوف

عزافة عبقر

حوّم شيطاني على عبقر يؤذنها بعوده والمخدر
 وحط بي فيها فالفيتني امام شطاء طواها الكبر
 تلف ثعباناً على وسطها يكمن في نابيه كيد القدر

بجامرُ الصَّنَدَلِ من حولها تألب الجنُّ عليها زُمُرُ
يَنبَعثُ الدخانُ من شعرِها يَلْتَظي في مُقَلَّتَيْهَا الشررُ
كَأَنَّمَا اللهُ لَدَى بَعْثِهَا زوَّدها بكلِّ ما في سَقَرِ ..

فَانْتَفَضَتْ وَالْجَنُّ مِنْ حَوْلِهَا أَجْفَلْنَ وَارْفَضَظْنَ بَيْنَ الشَّجَرِ
وَدَمَدَمَتْ سَخَطًا وَقَدْ هَالَهَا إِنَّ يُقَلِّقَ الْأَرْوَاحَ مَرَّ أَيْ الْبَشَرِ
فِيَا لَصَوْتٍ خَلَّتْ لَمَّا دَوَى إِنَّ أَدِيمَ الْأَرْضِ تَحْتِي أَقْشَعَرُ

حديث العرّافة

وَمَجْهَكَ يَا إِنْسَانُ
أَلْقِ عَصَا سِحْرِكَ
ذَعَرْتَ فِينَا الْجَانُ
فَعُذْنُ الشَّيْطَانِ
مَنْ شَرُّكَ

...

وَدَدْتُ يَا غَادِرَ لَوَائِي
أَطْلَقْتُ ثَعْبَانِي لَا يَنْتَنِي
عَنْكَ فَيُرْدِيكَ ، وَلَكِنِّي
أَخْشَى عَلَى الثَّعْبَانِ
مَنْ غَدِرَكَ
فِي نَابِهِ السُّمُّ كَانَ
وَصَارَ فِي صَدْرِكَ

فليسَ هذا الصِّلُ بالأفْعوانِ
بلْ انتَ يا أنسانُ
فارْجِعْ الى وكرِكَ

جعلتَ نفسَكَ اعلى
في الارضِ من رَبِّكَ
وخلتَ دَرَبَكَ سهلاً
فسيرَ على دَرَبِكَ
حسبتَ عَيْبَكَ فَضْلاً
فعيشَ على عَيْبِكَ
يا صِلْ وَيُحْك هَلا
خرجتَ من ثوبِكَ !

...

يا آكلِ الامواتِ
ورامقِ السَّيَّوَانِ
بالأعْيُنِ الواهَةِ
لا تمضِ في عُجْبِكَ
فانمّا الآلهَةُ

ليستْ على دَرَبِكَ
ما دامَ حُبُّ الذاتِ
يَنخُرُ في قلبِكَ

لأنت وينحك منها
بدلت ألوانك
أعمى بليت بأعمى
فما برحت مكانك
منها صقلت حجابك
يظلّ مُحَلَوِّكَ
فليس خلف ضحك
الا دُجى ليلك

تسكون يا شعراء
آلهة في السماء
أنتم لهنّ ندامى
فتنشرون السلام
ملء الثرى والفضاء
فهاهنا حتى نرى ما
خبأت من هوليك
يا ابن السلام إذا ما
دُسنا «على» ذيلك

•

(هـ) التزام القافية بين شطري البيت
الواحد فقط في بحور غير بحر « الرجز »

لؤيف الخوري

الحب ٣٨

« بتصرف عن الشاعر الانكليزي شاللي »

قالت : علام ارى الغديرُ أبداً على عجلٍ يسيرُ
موصولة أناثه وشجيرةً نغماته
أفليس يأخذه الملالُ أفليس يروح من كلالٍ ؟
فأجبتها : لا تذهلي من سيره المستعجلِ
النهر صب حائرُ نحو البحيرة سائرُ
اذ يهفوان وينشدان وبغبطة يتمازجان

قالت : وأغصانُ الشجرِ تبدو حجاباً للنظرِ
فعلام تشبكُ الغصونُ فتصونُ تجوالَ العيونِ
لا الريحُ تخرقُها .. ولا تضطرُّها ان تفصلاً ؟
فأجبتها : لو تعلمين ما بالغصون من الحنينِ
جلست في ظل السكونِ تُذرين أمواه الشئونِ
يا فتنتي ! ان الغرام أذى بها للانضمام

قالت : ولِمَ تبدو النجومُ محمولةً فوق الغيومِ
للبدور تنظرُ ساهيةً فتعود عنه باكيةً
فتصعد الزفرات نارُ حتى يوافيها النهارُ ؟

فأجبتُها : انَّ النجومَ محمولةٌ فوقَ الغيومِ
قد أصبحت تهوى القمرَ أمسى يُبرِّحُها السَّهَرُ
هيَ تبتغي منه النِّوالَ فيصدُّها عزُّ الجِمالِ

قالت : فان كان الغديرُ من فرطِ صوته يسيرُ
والغصنُ برِّحه هواهُ فأقامَ ملتزماً أخاهُ
والنجمُ برِّحه السَّهَرُ منذ راحَ ينظرُ للقمرُ
اني لذاتُ حشَى خفيِّ فلنعتنقُ ! فلنعتنقُ !

●

(و) التزام القافية بين شطري كل بيتين

٣٩ أنت وأنا ... لأجد الطرابلسي

إمّا رأيتِ الليلةَ الحالِكةَ تجلّو دُجاها البرقةُ الساطعةُ
والطفلةُ المشرقةُ الضاحكةُ تهزّئُها لعبتها الضائِعةُ

فانني الليلةُ يا بوقتي

وانني الطفلةُ يا لعبتي

يا فرحتي انتِ ويا دمعتي !

ان تجدي الناسكَ في ديره تهزّه نغمه أرغفه

والفاجرَ العرييدَ في سكره ترعشه النظرةُ من دنته

فاني الناسكُ يا نعمتي

وانني السكران يا خمرني
يا مسقري أنتِ ويا جنتي !

●

٤٠ هل تذكرين

خليل مطران

هل تذكرين ونحن طفلان
اذ يلتقي في الكرم ظلال
هل تذكرين بلاءنا الحسن
نعطي ابتسامات بهائمنا
هل تذكرين غداة نخطر عن
بين السماوات النواصر من
والنهر.. هل هو لا يزال كما
يسقي الغياض زلاله الشبا
ينصب مصطخباً على الصخر
يطفي حيال السد او يجري
متخللاً خضر البساتين
متضاحكاً ضحك المجانين
واهاً لذاك النهر خلف لي
يا طالما أوردته املي
عهداً به « زحلة » ذكره غم ؟
يتضاحكان ويأنس الكرم ؟
حين اقتطاف أطايب العنب
وبنا كنشوتها من الطرب
ملكين حقاً بالمرات
عليها ودنيا والثريات
كنا لذاك العهد نألفه
ويزيد بهجتها تعطفه
ويسير معتدلاً ومنعرجاً
متضابقاً آناً ومنفرجاً
متهللاً لتحية الشجر
لملاعب النسائم والزهر
عطشاً مديباً بعد مصدره
وسقيت وهي من تصووره

تمتد أيامُ الفراقِ وبني
وبسمعي لهديره اللجب
ما انسَ لا انسىَ العقيقَ وقد
كان الربيعُ وكان يومَ احدٍ
يومُ تفضى والفراقُ تلا
بهوىً تولد فيه واكتهلا
ولسى وأبقى في دُجى الماضي
كم أجتليه وراء انقاض
ظمتي لذاك المنهل الشافي
وبناظري لجماله الصافي
جزناه بعد السيل نفترج
ومسيرونا متمعج زلج
سرعان ما وافى وما انصرما
في ساعتيه وشاخ وانعدما
شفقاً بعيداً واضح الأثر
وأقول : يا أصفأ على سحري !

التجارب الاخيرة في قوالب الشعو من ناحية العروض

(أ) التلاعب في عدد تفاعيل القصيدة
الواحدة وهي باقية على قافيتها .

لنزار قباني

٤١ طوق الياسمين

شُكراً ...
لطوق الياسمين
وضحك لي .. وظننت ' انك تعرفين
معنى سوار الياسمين
يأتي به رجل اليك .. ظننت ' انك تدركين ..
وجلس في ركن ركن
تتسرع حين ..
وتنقطين العطر من قارورة .. وتدمدمين
لحناً فرنسيّ الرنين
لحناً كأيامي حزين
قدماك في الحفّ المقصّب .. جدولان من الحنين

والشَّلْحَةُ العَنِيَّةُ الجُرَاءُ .. تَحْصِرُ السَّيْنِ
 وَقَصَدَتْ دَوْلَابَ الْمَلَابِسِ .. تَقْلَعِينَ .. وَتَرْنَدِينَ
 وَطَلَبْتَ أَنْ اخْتَارَ مَاذَا تَلْبَسِينَ ..
 أَفَلِي أِذْنُ؟ أَفَلِي أَنَا تَتَجَمَّلِينَ؟ ..
 وَوَقَفْتُ فِي دَوَّامَةِ الْأَلْوَانِ .. مَلْتَهَبَ الْجَبِينِ
 الْأَسْوَدُ الْمَكْشُوفُ مِنْ كَتِفَيْهِ .. هَلْ تَتَرَدَّدِينَ؟ ..
 لَكِنَّهُ لَوْ حَزِينَ ...
 لَوْ كَأَيَّامِي حَزِينَ ...
 وَلِبَسْتِهِ .. وَرَبَطْتَ طُوقَ الْيَاسَمِينِ
 وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَعْرِفِينَ
 مَعْنَى سَوَارِ الْيَاسَمِينِ ...
 يَأْتِي بِهِ رَجُلٌ إِلَيْكَ ..
 ظَنَنْتُ أَنَّكَ ...
 تُدْرِكِينَ ...

هَذَا الْمَسَاءُ
 بِجَانَةِ صُغْرَى .. رَأَيْتُكَ تَرْقُصِينَ ..
 تَتَكَسَّرِينَ عَلَى زَنُودِ الْمُعْجَبِينَ
 تَتَكَسَّرِينَ ..
 وَتُدْمَدِمِينَ ..
 فِي أُذُنِ فَارِسِكَ الْأَمِينِ
 لِحْنًا فَرَانَسِيَّ الرَنْينِ ..

لحناً كأيامي حزين ..
 وبدأتُ أكتشفُ اليقين ..
 وعرفتُ انكِ للسوى تتجهلين ..
 وله ترسّينَ العطور .. وتقلمين .. وترتين ..
 ولحتُ طوقَ الياسمين
 في الأرضِ مكتومَ الأنين
 كالجثةِ البيضاء .. تدفعهُ جموعُ الراقصين ..
 ويهمُّ فارسُكِ الجميلُ بأخذه ..
 فتسألهن ..
 وتثقلهن ..
 لا شيء .. يستدعي انحناءك ..
 ذاك .. طوقُ الياسمين ..



(ب) التلاعب في تفاعيل القصيدة الواحدة
 وهي تنتقل بين قوافيها تنقلاً يسيراً

لنزار قباني

٤٢ حبلى

لا تمتنع ! .. هي كلمة عجلى
 إني لأشعرُ أنني ... حبلى
 .. وصرختُ كاللوعِ بي
 « كلاً » ..

سَمَزَقُ الطِفْلَ لا
وَأَرَدْتُ تَطْرِدُنِي
وَأَخَذْتُ تَشْتَمِي
لَا شَيْءَ يَدْهَشُنِي
فَلَقَدْ عَرَفْتُكَ دَائِمًا تَذْلا ..
وَبَعَثْتَ بِالْحَدَّامِ .. يَدْفَعُنِي
فِي وَحْشَةِ الدَّرَبِ
يَا مَنْ زَرَعْتَ الْعَارَ فِي صُلْبِي
وَكَسَرْتَ لِي قَلْبِي
وَيَقُولُ لِي : مَوْلَايَ لَيْسَ هُنَا ..
مَوْلَاهُ أَلْفُ هُنَا ..
لَكِنَّهُ جَبُنَا ..
لَمَّا تَأَكَّدَ أَنِّي حُبْلَى !
مَاذَا ؟ . أَتَبْصِقُنِي
وَالْقَيْءُ فِي حَلْقِي يُدْمِرُنِي
وَاصْبَعْ الْغَثَّيَانَ تَخْنِقُنِي
وَوَرِيثُكَ الْمَشْوُومُ فِي بَدَنِي
وَالْعَارُ يَسْتَحْقِنِي
وَحَقِيقَةُ سَوْدَاءُ تَمْلُؤُنِي
هِيَ ائْتِي حُبْلَى ...
لِيَرَاتُكَ الْحُسُونُ .. تُضْحِكُنِي
لِمَنِ النُّقُودُ ؟ . لِمَنِ .. لَتُجْهِضُنِي !

لتخيطَ لي كفي
 هذا .. اذنْ ثمني ؟
 ثمنُ الوفا يا بُؤرةَ العفنِ ..
 انا لم أجثَّكَ لِمَالِكَ النتنِ ..
 شُكراً ..
 ما سَقَطُ ذلكَ الحملِ ..
 انا لا اريدُ له أباً نذلاً ..



(ح) التلاعب في عدد التفاعيل في القصيدة الواحدة
 لها عقود متشابهة تتناوح فيها القوافي بانتظام .

٤٣ غسلا للعار لناذك الملائكة

« أمّاهُ ! » وحشرجةٌ ودموعٌ وسوادٌ
 وانجسَ الدمُ واختلجَ الجسمُ المطعونُ
 والشعرُ المتَمَوِّجُ عَشَّشَ فيه الطينُ
 « أمّاهُ ! » ولم يسمعها الا الجلاذُ
 وغداً سيَجِيءُ الفجرُ وقصحو الاورادُ
 والعشرونُ تُنادي والأملُ المفتونُ
 فتجيبُ المَرَجَةُ والازهارُ
 رحلتُ عنا .. غسلاً للعارِ ..

ويعودُ الجلاذُ الوحشيُّ ويلقى الناسُ

« العارَ ؟ » ويمسحُ مُدْبِتَهُ « مَرْقْنَا العارَ »
« ورجعنا فضلاءً ، بيضَ السمعةِ ، أحرارَ »
« يا ربُّ الحانةِ أينَ الخمرُ ؟ وأينَ الكاسُ »
« نادِ الغانيةَ الكسلى العاطرةَ الأنفاسِ »
« أفدي عينيها بالقرآنِ وبالأقدارِ »
املاً كاساتِكَ يا جزَّارُ
وعلى المقتولةِ غسلُ العارِ

وسياقِي الفجرِ وتَسألُ عنها الفتياتُ
أينَ تَرَاهَا ؟ فيردُّ الوحشُ « قَتَلْنَاهَا .. »
« وصمةُ عارٍ في جبهتِنَا وغسلناها »
ومستحكي قصَّتِها السوداءُ الجاراتُ
ومستروها في الحارةِ حتَّى النخلاتُ
حتَّى الابوابُ الحشبيةُ لن تَنسَاهَا
وستَهَمِسُهَا حتَّى الاحجارُ
غسلًا للعارِ . . غسلًا للعارِ

« يا جاراتِ الحارةِ ، يا فتياتِ القريةِ »
« الجُبْنَ سَنَعِجِنُهُ بدموعِ مآقِينَا »
« وسنقصُ جدائلَنَا وسنسلخُ أيدينا »
« لتكونَ ثيابُهُم بيضَ اللونِ ، نقيَّةُ »
« لا بَسْمَةَ ، لا لَفَتَةَ ، لا فرحةُ ، فالمديةُ »
« تَرْقُبُنَا في قَبْضَةِ الدِّنَا وأُخِينَا »

« وَغَدَاً مَنْ يَدْرِي أَيَّ قَفَارٍ »

« سَتُؤَارِبُنَا غَسَلًا لِلْعَارِ ؟ »



(د) التلاعب في عدد التفاعيل في القصيدة الواحدة، لها

عقود مختلفة تتناوح فيها القوافي على أكثر من وجه

لنازك الملائكة

٤٤ النهر العاشق

« انشودة عزاء لبغداد التي تفرق »

اَيْنَ نَمْضِي ؟ اِنَّهُ يَعْدُو الْيَمِينَا

وَاكْضَا عِبْرَ حَقُولِ الْقَمْحِ لَا يَلْوِي خُطَاؤُ

بَاسِطًا فِي لَمْعَةِ الْفَجْرِ ذِرَاعِيهِ الْيَمِينَا

طَافِرًا كَالرَّيْحِ نَشْوَانٌ ؛ يَدَاؤُ

سَوْفَ تَلْقَانَا وَتَطْوِي خَوْفَنَا اِنِّي مَشِينَا

اِنَّهُ يَعْدُو وَيَعْدُو

وَهُوَ يَجْتَازُ بِلَا صَوْتٍ قُرَانَا

مَاؤُهُ الْبُسْمِيُّ يَجْتَاحُ وَلَا يَلْوِيهِ سَدُّ

اِنَّهُ يَتَّبِعُنَا لَهْفَانٍ اِنْ يَطْوِي صَبَانَا

فِي ذِرَاعِيهِ وَيَسْقِينَا الْحَنَانَا

لَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُنَا مُبْتَسِمًا بِسَمَةِ حُبٍّ

قدماه الرطبتان
تركت آثارها الحمراء في كل مكان
انه قد عاث في شرقي وغرب
في حنان

اين نعدو وهو قد لف يديه
حول اكتاف المدينة ؟
انه يعمل في بطء وحزم وسكينة
ماكباً من شفتيه
قبلاً طينية غطت مراعيها الحزينة

ذلك العاشق ، انّا قد عرفناه قديماً
انه لا ينتهي من زحفه نحو ربانا
وله نحن بقينا ، وله شدنا قُرانا
انه زائرنا المألوف ، ما زال كريماً ،
كل عام ينزل الوادي وبأبي لللقانا

نحن افرغنا له اكواختنا في جنح ليل
وسنؤويه ونغضي
انه يتبعنا في كل ارض
وله نحن نصلي

وله نرفع 'شكوانا من العيش الممل

انه الآن ... إله

او لم تعمل مبانينا عليه قد مياها ؟

انه يعلو ويلقي كنزَه بين يديها

انه يمنحنا الطينَ وموتاً لا نراه

من لنا الآن سواه ؟



لفدوى طوقان

٤٥ العودة

... وأطل وجهك مشرقاً من خلفِ عام

عامٌ طويلٌ ظلٌ في عمري يدبُ كألفِ عام

عامٌ ظللتُ أجره خلفي وأزحفُ في الظلام

وعواصفٌ تلجئةٌ تصطكُ حولي ، والطريق

كانت تضيقُ كأنَّها أملٌ يضيق

ويضيع في تيهِ القتام

عامٌ طويلٌ ظل يفصلنا به بحرٌ صموت

بحرٌ دجت أمواجه وتجمدت ، بحرٌ تقوت

فيه الحياة وتفرق الحلجات في بردِ السكوت ..

وانا على الشط الاصم

انا والفراغُ وليلٌ وهمي
أصفي لعلَّ صدىَّ يمرُّ
بي ، علَّ شيئاً منك - حسُّ ، نبأٌ - شيئاً يمرُّ
بي منك عبورَ مدى السكوتِ
لا شيءَ الا وطأةٌ نُقلتْ وصمتٌ مستمرُّ

عامٌ ، ودَّبتْ بعده في البحرِ مُعجزةُ الحياةِ
لم ادرِ كيفَ ، هناك رفَّتْ بَغْتَةً فوقَ المياهِ
وهفتْ حمامةُ !
زرقاءُ ... في طُهرِ السماءِ ، هفتْ اليَّ على غمامةِ
وطوتْ جناحيها وقرَّتْ في يديه
ورنّتْ اليه
وتنفّستْ دفقاً وعطراً ..
وشمتْ فيها منك شيئاً حاجني وجداً وذِكْرى
ففضيتُ أَلَمْ ريشَها
وجعلتُ صدري عُشَّها
وشعرتُ انكَ عدتَ ، انكَ في الطريقِ !
واجتاحني فرحُ الغريقِ
حضنتُ شُطَّانَ النجاةِ

واطلَّ وجهُك من بعيدِ
حُلوا يرفُّ على وجودي

ورأيتُ احزاني تموتُ على تعانقِ راحتينا
واضاءَ في فيكِ ابتسامُ
البسمةُ الجذلى التي احببتها منذُ التقينا
عادتُ تُضيءُ كأنها قلبُ النهار
وتصبُّ في نفسي فيشربها دمي
ويعبُّها قلبي الظمى
ونسيتُ آلامي الكبارُ
ونسيتُ في سُكر اللقاء عذابَ عامُ
عامٌ طويلٌ ظلُّ في عمري يدبُّ كألفِ عامُ



(٨) التلاعب في عدد التفاعيل في القصيدة الواحدة
لا عقود لها تتناوح فيها القوافي مرسلة اشكالا

٤٦ حفار القبور (البند الثالث) لبدر شاكو السياب

دربُ كافواه اللحدُ -
لولا التماعاتُ الكواكبُ ، وانعكاسُ من ضياءِ
تلقيه نافذة - ووقعُ خطيَّ تهادى في عياءِ
يُصدي له الليلُ العميقُ ، وحارسُ تعبٍ يعودُ
وسنانُ يحلمُ بالفراشِ وزوجه : تذكى السراج
وتؤججُ التثورَ صامتةً .. واخيلةُ اللهبِ
تُضيءُ عليها ما تشاءُ من اكتئابٍ وابتهاجٍ .

ثُمَّ اضمحل الحارس المكدود ، والنغم الرتيب :
- وقع الخطي المتلاشيات .. كأنه الهمس المريب -
ما زال يخفق من بعيد .

وتملكت قدّمان ، وارتفعت يده بعد انتظار
وهوت على الباب العتيق ، فأرسل الحشب البليد
صوتاً كإيقاع المعاول حين ادبار النهار
بين القبور الموحشات ، واطبق الصمت الثقيل ،
واطل من إحدى النوافذ ، وهي تفتح في ارياب ،
وجه حزين . . ثم غاب !

وتحرك الباب المضغضع وهو يجنّش بالعويل ،
وتقول انثى في اكتئاب :
« ضيف جديد ! » ثم تفرك مقلتيها في فتور .
ويظل يزحف كالكسوف - يُججّب الالق الضئيل
عن وجهها - ظل يُقيّدُها بحفّار القبور !



الشعر الطلق او المرسل الذي يرسل
نفسه ارسالاً غير متقيد بوزن ولا قافية

لالبير اديب

٤٧ وفاء

لمْ أَحْبَبْتُكَ يوماً
بل احببتُ فيكَ نفسي
وانعكاساتِ رؤاي الخالصة
واعرُف انني في خاطركِ
لمْ أَكُنْ غير انتقامٍ
لحبٍّ اضعته
عشنا معاً
فتألفتُ منا اسطورةً كاذبةً
غصتُ بها رُوحانا السَّما
وعرفتنا الدنيا انشودةً خالدةً
فيا لهوانِ الهوى
لست لي ولم اكُنْ لكِ

مَا ذَهَبَ وَتَذْهَبَ
غَرِيبَيْنِ عَاشَا مَعَا
وَأَبْقَا مِنْ بَعْدِ هُمَا
... اَكْذُوبُهُ ...

فهرست باسماء الذين ورد ذكرهم في المحاضرة (١)

اسكندر	أ
الاصمعي	ابراهيم شكرالله
* اكرم الوتري	ه ابراهيم طوقان
* البير ادب	* ه ابراهيم ناجي
ه الياس ابو شبكة	* ه ابراهيم الوائلي
ه الياس فرحات	ابن زيدون
* ه امجد الطرابلسي	* ابن نباتة
امرؤ القيس	ابن النيه
ه امين نخلة	ابو تمام
انيس المقدسي	ه ابو سلمى
اوسكار وايلد	* ه ابو شادي
* ه ايليا ابو ماضي	ابو فراس
ب	ابو نواس
ه البارودي	* ه احمد الصافي
البحري	ادغار آلن بو
* ه بدر شاكر السياب	ارستوفنس
ه بدوي الجبل	ارسطو
ه بديع حقي	اسحق الموصلي
براوننج	اسخيلوس

(١) ه شعراؤنا في العصر الحديث * الذين وردت لهم شواهد .

* ه خليل مردم

د

داني

ر

الرافعي

ه الرصافي

* ه رثيف خوري

ز

ه الزهاوي

* ه زهير

س

سافو

سانت بوف

* ه سعيد عقل

ه سليمان العيسى

ه سليم حيدر

ه سمير صنبر

سوفوكلس

السيد حيدر الحلبي

ش

* ه الشابي

* ه الشاعر القروي

* ه شفيق معلوف

* ه شوقي

شكسبير

ص

* ه صالح جودت

بشار

* ه بشارة الخوري

ه بشر فارس

بلند الحيدري

بندار

البهاء زهير

ت

تولستوي

تين

ث

ه ثريا ملجس

ج

جبرا ابراهيم جبرا

ه جبران

جرير

جميل

ه الجواهري

جورج ساند

ه جورج صيدح

ح

حافظ ابراهيم

حافظ الشيرازي

حسان

* ه حسان بن القدير

* ه حكيم بن عكرمه

ه الحوماني

خ

الخليل بن احمد

ه صفاء الحيدري

ه صلاح الاسير

ه صلاح لبكي

ط

طاغور

طرفة

ع

عباس ابن الاحنف

* ه عبد الحميد السنوسي

* ه عبد الرحمن صدقي

* ه عبد السلام عيون السود

عبد الله العلابي

* ه عبد الوهاب البياتي

ه عدنان الرواي

الغزيرين

ه علي الحلبي

* ه علي محمود طه

عمر

عمر بن ابي ربيعة

* ه عمر ابو ريشة

عمرو بن كلثوم

عنقرة

* ه العوضي الوكيل

غ

الغريض

ف

ه فارس سعد

ه فدوى طوقان

فرجيل

الفردوسي

الفرزدق

ه فؤاد الخطيب

ه فوزي المعلوف

ق

قس بن ساعدة

ك

ه كاظم جواد

ه كاظم السماوي

كافور

كثير

كروشييه

ل

لاسز ابر كرومي

لبيد

لسنج

لم يعرف قائله

م

ماثيو ارنولد

مارون عبود

ماسينيون

المتني

* ه محمد الفيتوري

محمد النويهي

ه محمد مجذوب

* نسيب عازار
 * نسيب عريضه
 ناظم المها بارتا
 ه
 هومير
 و
 * وديع البستاني
 ي
 يوحنا قمير
 يوريليدز
 * يوسف غصوب

* محمد محمود الزيري
 * محمد الحوت
 محمود تيمور
 * مطران
 معبد
 * معين بسيسو
 المعري
 ملتن
 * ميخائيل نعيمة
 ن
 * نازك الملائكة
 * تزار قباني

فهرست الكتاب



صفحة

٣

تصدير

٧

مقدمة بقلم عبد اللطيف شراره

الفصل الاول

٢٤

حقيقة الشعر عند الامم

الفصل الثاني

٥٤

الشعر العربي خلال العصور

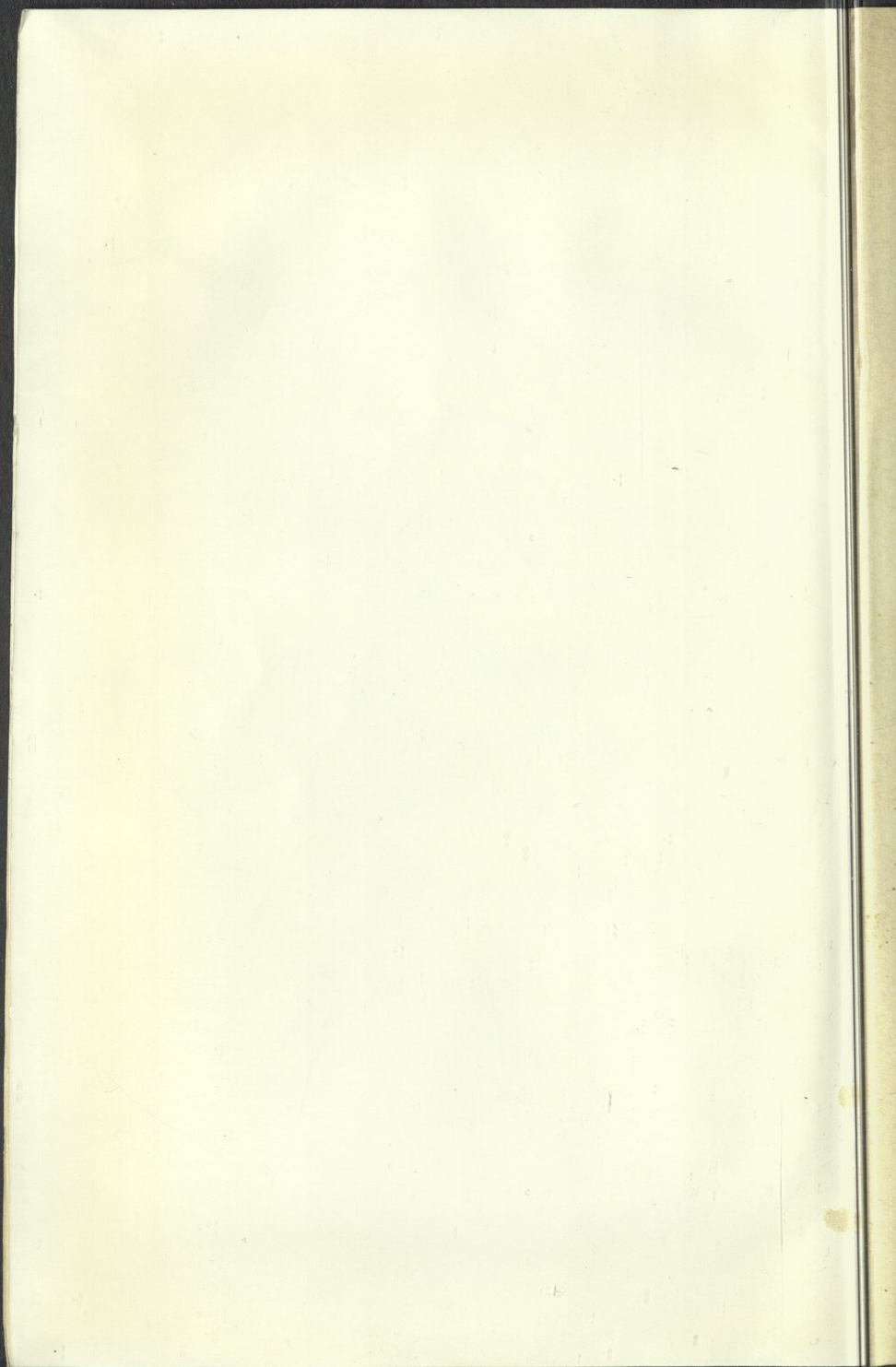
الفصل الثالث

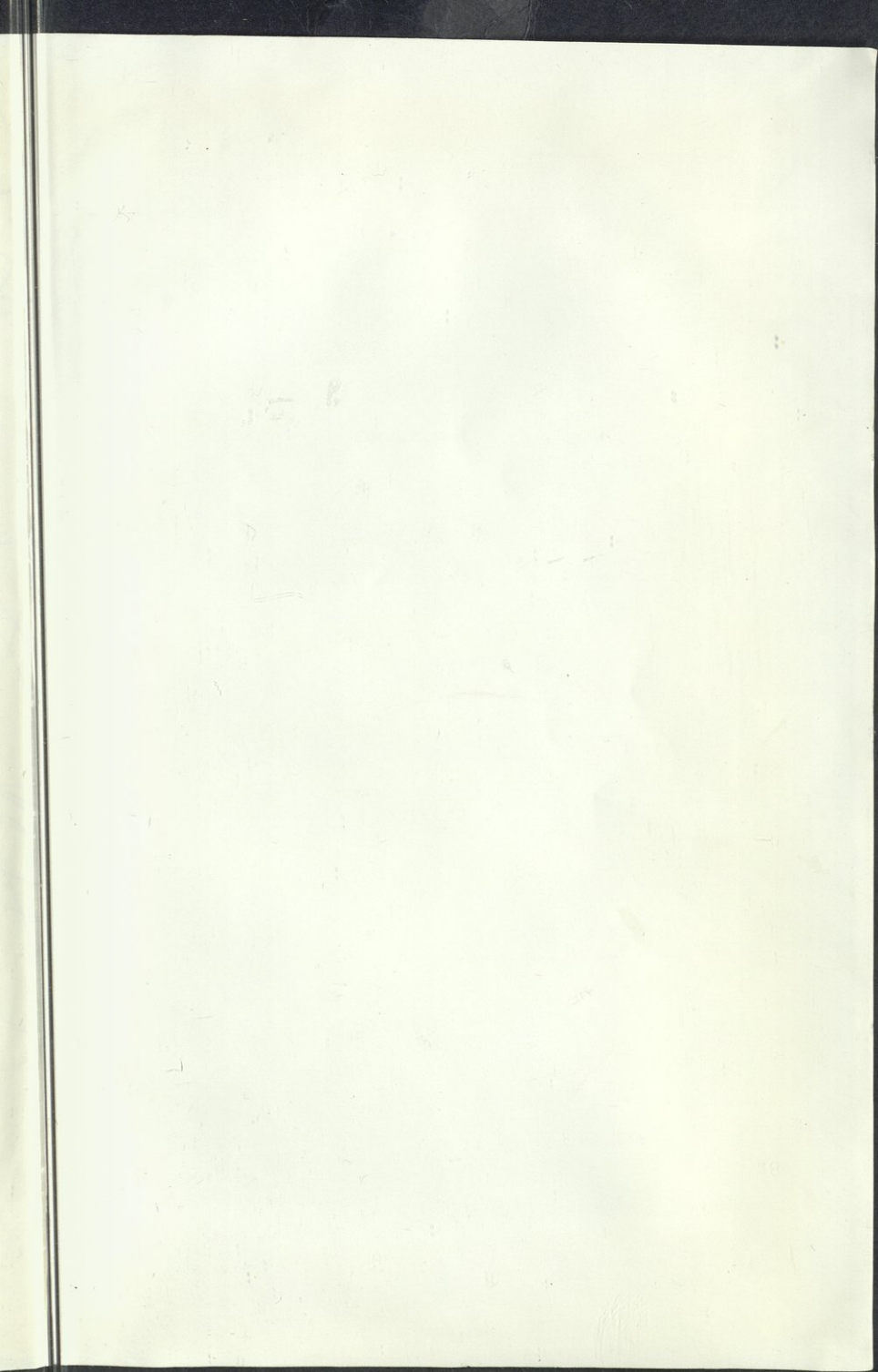
٦٨

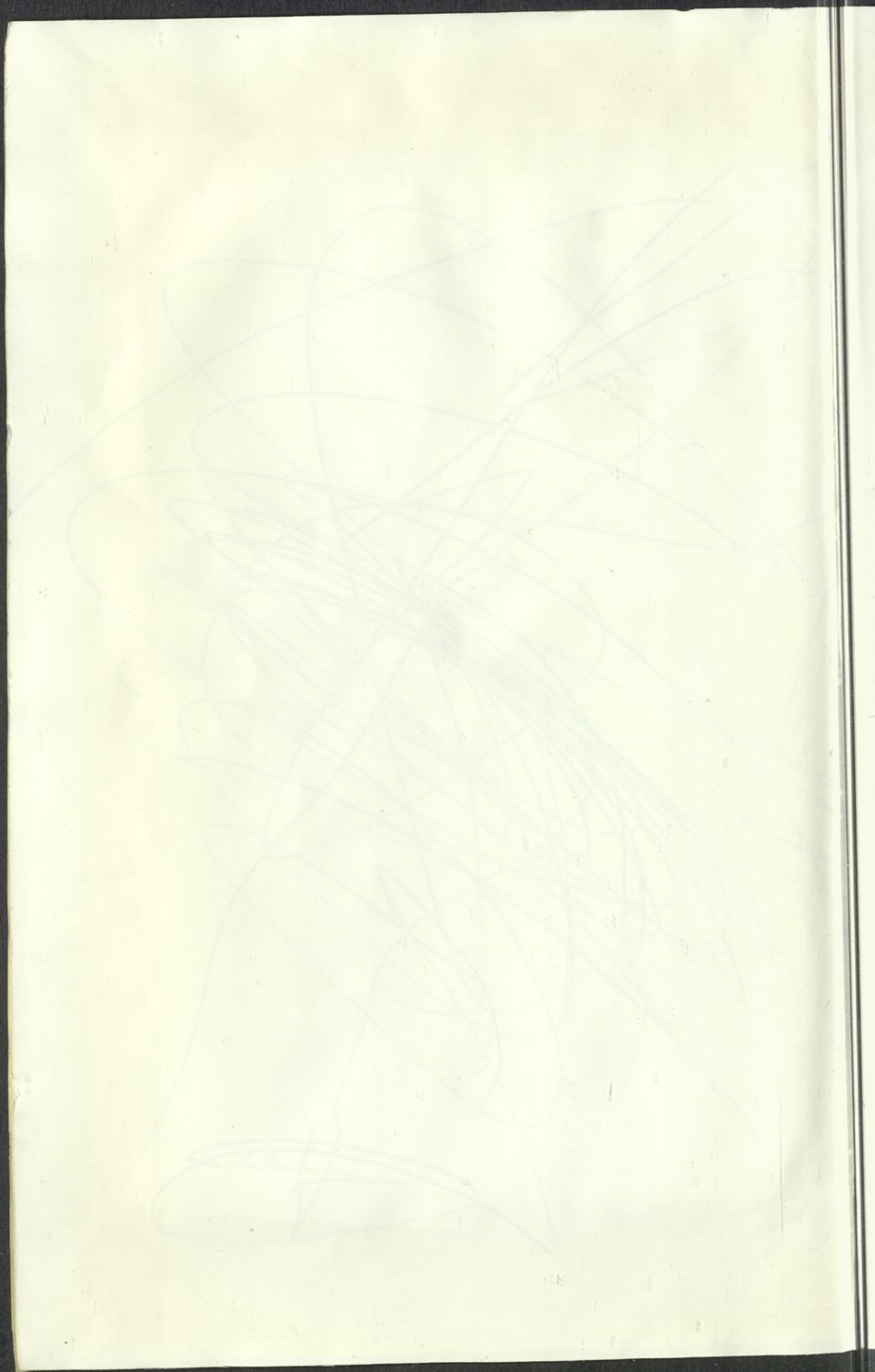
قضية الشعر اليوم

٨٧

ملحق بالقصائد التي ورد ذكرها في المحاضرة







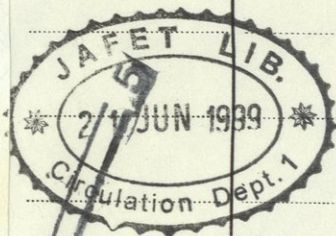
DATE DUE

~~22 MAY 1978~~



JAFET LIB.

- 1 FEB 1979



808.1:U72shA:c.2

العريض، إبراهيم

الشعر وقصائده في الادب العربي الحدي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01031214

808.1
U72shA
C.2

